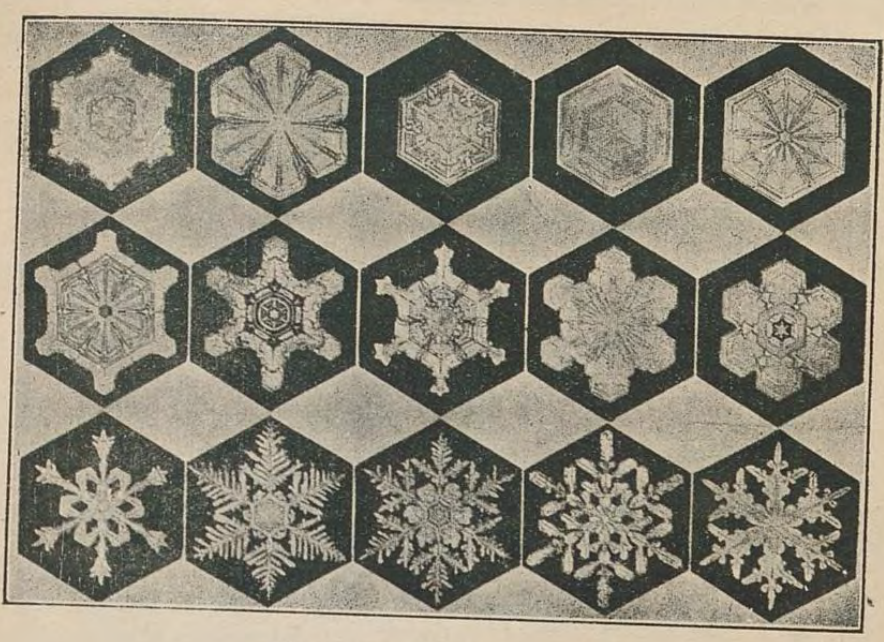

اشكال بلورات الثلج كما ترى بالمكرسكوب

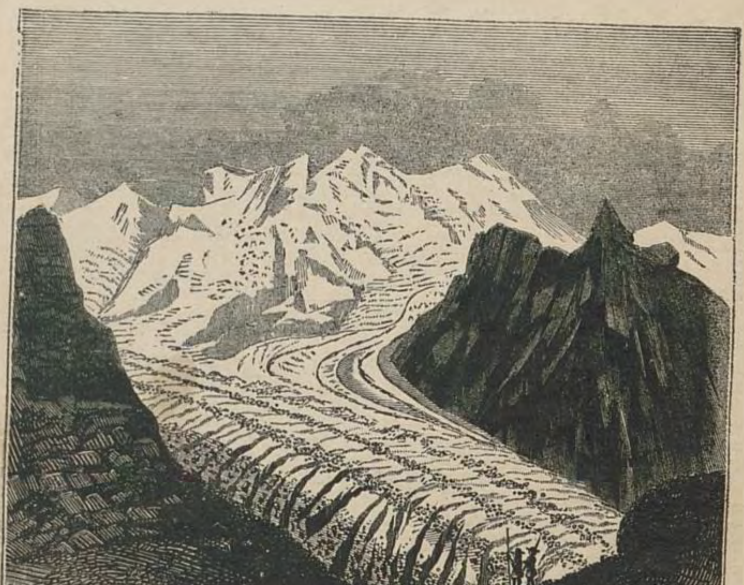

نهر جليد منحدر من جبال الالب

مقتطف يونيو ١٩١٧
امام الصفحة ٥٢١

المقتطف

الجزء السادس من المجلد الخمسين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩١٧ — الموافق ١١ شعبان سنة ١٣٣٥

سياحة ذرَّة ماءٍ

نشر الاستاذ فيرشيلد من اساتذة مدرسة روشستر باميركا سلسلة مقالات في المجلة العلمية الشهرية وضعها على لسان ذرة ماء وجعلها تاريخًا للادوار التي يمرُّ عليها الماء من حين تكوُّنهِ الى ان يقضي كل الاعمال التي يقوم بها في احوالهِ المختلفة كبخار وسحاب ومطر وثلج وجليد وما اشبه و بناها كلها على الحقائق العلمية المقررة فلخصناها فيما يلي · ويراد بذرة الماء اصغر جزء يمكن ان يكون من الماء

بداءة امري

انا ذرة ماء صغيرة جدًّا لا تراني عين انسان ولو استعانت على رؤْيتي باقوى النظارات المكبرة ومع ذلك فانا موجودة ولا شبهة في وجودي ومن امثالي تتألف الامطار والانهار والبحار وكل مجاميع المياه · وهي موجودة في اجسام كل الحيوانات والنباتات بل اكثر هذه الاجسام مؤلف منها وموجودة ايضًا في كل المواد الارضية تقريبًا حتى في الصخور والمعادن · وقد عشتُ انا حتى الآن الوفًا وملايين من السنين ودرتُ حول الكرة الارضية مرارًا عديدة فاذا شئت ان تعرف شيئًا من تاريخي فأعرني سمعك

ولدت منذ دهور طوال فلا يسعني ان اقص عليك قصتي كلها لان قصها يستغرق سنين كثيرة · انت قصير العمر قلما تعيش مئة سنة وانا قد مرَّ عليَّ مئة مليون سنة على الاقل لقيتُ فيها من الغرائب ومرَّ عليَّ من العبر ما لا يكفي لوصفهِ الأ القرون الطوال · وزد على ذلك ان اشغالي كثيرة فلا اتفرَّغ لقص القصص

كان زمن لم اكن فيهِ ماء ثم تكوَّنتُ على اسلوب غريب وقد كان ذلك منذ ملايين

كثيرة من السنين كما تقدَّم · تكوَّنتُ في عنق بركان اي جبل نار من جبال النار القديمة التي ظهرت في الارض حين جمودها ثم خمدت واندثرت

لم اولَد كما يولد النبات والحيوان من اب وام بل تكوَّنت تكونًا من اتحاد جوهرين من الهيدروجين بجوهر من الاكسجين · فانا اذاً جسم مركَّب تركيبًا كيماويًّا ولَّدتني المادة والقوة باتحادهما

والجواهر الثلاثة التي تكونتُ باتحادها وُجِدَتْ قبلي بادهار لا تحصى فتاريخها اطول من تاريخي ولا بدَّ من ان يكون مشحونًا بالغرائب ولو عرفناهُ لوجدنا فيهِ سبيلاً لمعرفة اصل الشمس وما اصاب النجوم في غابر الازمان · فان هذه الجواهر الثلاثة كانت في السديم او الغبار العالمي الذي تكوَّنت الشمس منهُ ثم لمَّا انفصلت السيَّارات عن الشمس كان نصيب هذه الجواهر مع الارض كأَنها علمت ان الارض ستكون داراً للاحياء ففضَّلتها على غيرها من السيارات · وهي على صغرها كان لها يدٌ في تكوين الكرة الارضية ولما تكونتُ انا منها كانت هي في عنق بركان كما تقدَّم ولم يكن في الامكان ان تتحد معًا وهي في جوفهِ لشدة الحرارة والضغط هناك فلما صعدتْ الى عنقهِ وقلَّت الحرارة المحيطة بها تعانقت واتحدت وصارت جسمًا واحداً وهو انا صاحبة هذا التاريخ · ولما تكوَّنتُ لم اكن وحدي بل كنت ذرة من ملايين لا تحصى وقد تكونتْ كلها كما تكونتُ انا وكانت حرارتنا شديدة جدًّا وكان الضغط علينا شديداً يزحمنا بعضنا مع بعض لكننا تمكنَّا من الصعود في عنق البركان فقلَّ الضغط علينا وانفرجنا بغتةً وصرنا بخاراً وكان لانفراجنا هذا انفجار شديد مزَّق قمة البركان تمزيقًا واطارها في الجو هباء منثوراً · فصعدنا في الجو عموداً من البخار ارتفاعهُ اميال كثيرة · ولعلَّ اكثر مياه الارض وبحارها تكون من الاكسجين والهيدروجين على هذه الصورة

طيراني في الجو

كنتُ من ذرات البخار التي نسفت قمة البركان كما تقدَّم فوجدتني طائرة في الجو يحملني الهواء السخن الى اعاليهِ · لم اقس الارتفاع الذي بلغتهُ لانهُ لم يكن في يدي مقياس ولكنني ارجح انني بلغت عشرة اميال من الارتفاع فوق سطح الارض ووقفت هناك تحيط بي جواهر الاكسجين والنتروجين التي يتألف الهواء منها وحولنا ملايين لا تحصى من ذرات الماء وهي تروح وتجيء بسرعة فائقة و يصدم بعضها بعضًا او تصدم جواهر الهواء · ولا اعلم ماذا كانت غايتها من حركاتها هذه بل لا أَعلم ما هي الغاية من الوجود كلهِ

ثم عبثت بنا الرياح وساقتنا شرقاً لان الرياح في تلك الاعالي تهبُّ دواماً من الغرب الى الشرق فدرت حول الارض مع غيري من ذرات الماء ودقائق الهباء العائم في الهواء

كان عيشنا حينئذٍ رغداً والزمان مساعداً فان الهواء كان لطيفاً ونحن ذرات الماء كنا في سعة ولو كنا اسرى نخطر ذهاباً واياباً لان السكون ليس من طبعنا وآيتنا « في الحركة بركة » لكن حركاتنا هذه كانت تستلزم تصادمنا بعضنا ببعض فتصدم كل واحدة منا غيرها ملايين صدمة في الثانية من الزمان لشدَّة مرونتنا

كان مقامنا فوق كل الغيوم والعواصف لانها انما تكون في طبقات الجو السفلى. وكنا نرى السماء فوقنا سوداء والشمس زرقاء وكنا ننظر النجوم في رائعة النهار. والهواء هناك لطيف جدًّا تبلغ كثافتهُ عشر ما هي على سطح الارض لكن لطافتهُ هذه جعلت اشعة الشمس شديدة الحرارة لانهُ لا يمتص شيئاً يذكر منها ولذلك كان بردهُ شديداً تحت درجة الجليد. فان اشعة الشمس كانت تخرقهُ فلا يكاد يسلب شيئاً منها يدفأُ بهِ. لكن الحر لم يؤَثر فيَّ لانهُ انما يؤَثر فيما كان جسمهُ مؤَلفاً من ذرات كثيرة متراصةً فيحركها اما انا فجسمي ذرة واحدة

دخولي السحاب

مرَّ علينا زمان طويل ونحن على هذه الحال ثم برد جانب من الهواء حيث كنت فاجتمع الوفٌ منَّا حول ذرة من الهباء الطائر في الهواء وصار من مجموعنا نقطة ماء جامد اي بلورة من بلورات الجليد ولكنها كانت صغيرة جدًّا فبقيت عائمة في الهواء وتكوَّنت حينئذٍ بلورات كثيرة من الجليد كما تكونت بلورتنا وتألف من مجموعنا سحابة كبيرة بقيت طائرة في الهواء. ولقد كان ذلك قبلما وُجد الانسان على وجه الارض بل قبلما وجدت كل الحيوانات التي تتنفس الهواء. اما اسماك البحر فكانت موجودة ولو نظرت الى السماء حينئذٍ لرأتنا سحابة لطيفة طائرة في القبة الزرقاء

وكانت دقائق الهواء تزدحم احياناً حول بلوراتنا الجليدية وتهزُّنا وتفرقنا بعضنا عن بعض فلا يبقى للسحابة اثر ظاهر لان الحرارة تزيد حينئذٍ فتتبخر بها بلورات الجليد. وتكرَّر ذلك مراراً عديدة واخيراً اتفق اننا كنا في طبقات الهواء السفلى وكانت الدقائق كلها قد قربت بعضها من بعض وزادت سرعة اهتزازها الذي معناهُ ان حرارتها زادت فابيح لنا ان نلصق بذرة من الغبار فتكوَّن منا قطرة ماء صغيرة وتكوَّن من غيرنا قطرات ماء اخرى مثل قطرتنا وصار مجموع هذه القطرات سحابة مائية صغيرة كما حدث من بلورات الجليد في طبقات الجو

العليا · وسحابتنا الثانية المتكونة من قطرات الماء زادت حجماً باضافة ذرات اخرى من الماء اليها حتى صار منها سحابة كبيرة سوداء تغطي وجه السماء وتحجب اشعة الشمس عن جانب من سطح الغبراء · كنا عرضة حينئذٍ لقوتين متضادتين الواحدة قوة الجاذبية وهي تجعل ذرات الماء تتجاذب حتى تتكون منها قطرات كبيرة والثانية قوة الدفع الكهربائي وهي تجعل ذرات الماء تتدافع وتتباعد ولكن هذه القوة الثانية ضعفت رويداً رويداً وزادت القوة الاولى اي قوة الجذب فزاد التئام قطرات الماء بعضها مع بعض حتى كبرت وصارت اثقل من ان يحملها الهواء فانحدرت منهُ ووقعت على الارض مطراً وهنا ضاع استقلالي لانني صرت جزءًا صغيراً من مياه البحر الخضم اي الاوقيانوس

في الاوقيانوس

لما دخلت الاوقيانوس رأيت تغييراً كبيراً فمن ذرة اصغر من ان تُرى سابحة في الفضاء او مشتركة مع غيرها في بلورة من الجليد او نقطة من الماء الى بحر خضم يجمع ملايين الملايين من الذرات امثالي فان النقطة الصغيرة التي تقف على رأس الابرة تحتوي على ملايين من هذهِ الذرات

لما كنتُ في الهواء كنت اسيرة على نوع ما والهواء قابض عليَّ اما الآن فصرت اقبض على غيري من المواد الذائبة في الماء · وهذه المواد كثيرة مختلفة ولها عند العلماء اسماء يعسر تذكُّرها واشهرها ملح الطعام الذي يسمى عندهم كلوريد الصوديوم او الكلوريد الصوديك ويتلوهُ كلوريد المغنيسيوم ثم كبريتات المغنسيوم والكلسيوم والبوتاسيوم والكربونات والبروميدات واليوديدات والفلوريدات · ومن هذه المواد ايضاً الذهب والفضة فان ماء الاوقيانوس لا يخلو منهما · اي اننا ونحن ذرات سائلة في البحر اسرنا المواد الجامدة كما ان الهواء وهو غاز يأسر المواد السائلة · ولم نكتفِ بأسر الجوامد بل اسرنا جانباً من دقائق الهواء نفسهِ فكلْنا لهُ بالصاع الذي كال لنا · لكنهُ انتقم منا فجعل يعصف علينا ويقذفنا امواجاً تعلو وتهبط وتذهب وتجيء · وانصبَّت علينا اشعة الشمس المحرقة في بعض الاماكن فاختلف ثقلنا وجرينا فكنتُ اراني تارة أُقذف على الشواطىء وطوراً تجري بي التيارات من خط الاستواء الى القطبين او تدور بي حول الارض كلها

والذرات التي اتفق وجودها على سطح البحر كانت دقائق الهواء تهجم عليها وتحاول اختطافها واسرها تساعدها في ذلك اشعة الشمس فأسر العدد العديد منا الى ان جاء دوري

وانا احسب ذلك من النعم لان الاسر في الهواء حرية في جنب البقاء في الماء فانتُشلت من البحر وأُصعدت الى اعالي الجو وأُطلق سبيلي هناك فجريت على وجهي لا عمل ولا عناء ولا شغل الأ التطلُّع الى ما تحتي من البر والبحر

في نهر من الجليد وجبل منهُ

ومرَّ عليَّ زمان طويل وانا اجول على هذه الصورة مرة منفردة ومرة مشتبكة في سحابة من البخار الى ان اشتد عليَّ البرد يوماً فدخلتُ بلورة صغيرة من الجليد في شكل موشور مثلَّث صافي الاديم شفاف وبقيتْ هذه البلورة هي وغيرها في الهواء البارد تكسِر اشعة النور فتكوَّن منها هالات حول الشمس والقمر. ثم كبرت بلورتي رويداً رويداً فصار منها رقعة من الثلج مسدسة الجوانب وجرى مثل ذلك لغيرها من البلورات وتكوَّن من مجموعنا سحابة ثلج طفت في الجو ومرَّت فوق جبل شاهق من الجبال القديمة التي لم يكن لي معرفة بها فأُضفنا الى الثلج الكثير الذي كان ذلك الجبل معتمًّا بهِ. ثم وقع فوقنا غيرنا من رقع الثلج فدُفنتُ تحتها. وشتأن بين اقامتي هناك والثلج الشديد البرد يحيط بي من كل جانب وبين سيري في البحار الاستوائية تدفئني اشعة الشمس. الأ ان الثلج الكثير الذي كنت مطمورة بهِ لم يحلُ لهُ السكون فجعل يزلق عن جوانب الجبل زلقاً مستمرًّا ولكنهُ بطيء جدًّا. واشتد الضغط عليهِ من تراكم الثلج فوقهُ فحوَّلهُ الى جليد فصرت جزءا من جسم صلب شفاف كالزجاج وجرى مجموعنا على سفح الجبل نهراً من الجليد. سبحان من يغير من حال الى حال فقد كنت بالامس ذرة من البخار مطلقة العنان فصرت الآن جزءا من جسم جامد صلب تصعب عليَّ فيهِ الحركة التي خُصَّت بها الجواهر كلها. لما كنتُ في الهواء كنت اتحرَّك كما اشاء. وبقي لي شيء من الحرية وانا في الماء. اما الآن فصرت في سجن ضيق بارد حُجر عليَّ فيهِ قروناً كثيرة لا ارى النور ولا اقوى على العمل. ظلام دامس وسكون يخمد الانفاس وحياة هرأَها البرد فزالت آثارها

ومرَّت القرون ونهر الجليد يسير الهوينا في تحدرهِ الى ان فرغ صبري واخيراً ظننت ان النهر وصل الى منتهى سيرهِ فاحمد السرى عند الصباح ولكن كانت خاتمة المطاف في البحر الخضم ثانيةً فانقدَّت قطعة كبيرة من ذلك النهر ووقعت في البحر جبلاً من الجليد وانا في قلب هذا الجبل فسار سيراً بطيئًا تتقاذفهُ الامواج الى ان تمزَّق وتكسر وذاب كلهُ فعدت الى البحر الذي صعدت منهُ. وسآتي على تتمة قصتي في الاجزاء التالية

حرب الطيارات والغوّاصات

غيَّرتْ هـذه الحرب اساليب الحروب فترك الجنود حصونهم المقامة فوق الارض وتحصنوا في خنادق حفروها تحتها لانهُ ما من حصن مهما كان منيعاً يقوى على الثبات امام المدافع الحديثة . وكانت الدول المتحاربة تعبيء عشرات الالوف ومئات الالوف من جنودها فصارت تعبيء الملايين . وكانت تحسب نفقاتها الحربية بملايين الجنيهات وعشرات الملايين فصارت تحسبها بمئات الملايين والوف الملايين . ولم يكن للغواصات ولا للطيارات شأن يذكر فصار لهما الشأن الاكبر

انبأتنا التلغرافات قبيل كتابة هذه السطور ان طيارة مائية ضربت سفينة تجارية بطربيد فاغرقتها . فهذه ثالثة الاثافي ان لم تكن آخر سهم في كنانة الدهر لان تسلُّح الطيارات بالطربيد لم يكن معروفاً فاذكرنا ذلك مقالة نشرت في الجزء الاخير من مجلة لندن عدَّد فيها كاتبها فعال الطيارات والغواصات فاقتطفنا منها الحوادث التالية

اما فتك الغواصات بسفن الصيد والسفن التجارية وسفن النقل وكل السفن غير المدرعة او التي دروعها غير منيعة فامثلتهُ صارت اكثر من ان تحصى واشهر من ان تذكر حتى لقد ظنَّ الالمان ان الغواصات ستكون سلاحهم الامضى في هذه الحرب . وقال الانكليز ان اكبر المخترعين منهم واشهر المستنبطين مهتمون باكتشاف اسلوب للقضاء على الغواصات او لدرء شرها وقال الاميركيون ان مخترعهم الاكبر المستر اديصن ومعهُ جماعة كبيرة من المهندسين ورجال الاختراع مهتمون باستنباط وسيلة تقضي على الغواصات

والمعارك التي دارت رحاها بين الغواصات والسفن الحربية قليلة . ومن السفن الحربية التي اشتبكت مع الغواصات في هذه المعارك النسَّافات . وهي والغواصات تقاتل خصمها بالطربيد . وللغواصة مزية على النسَّافة لانها تستطيع ان تدنو من خصمها وهي تحت الماء فتراهُ ولا يراها حتى اذا صارت على مقربة منهُ ارتفعت قليلاً ورشقتهُ بطربيدها . من ذلك ان الغواصة التي نمرتها ١٤ من الغواصات الانكليزية هاجمت مرةً نسَّافة ونقالة عثمانيتين في بحر مرمرا وكانت النقالة مسلحة وفيها ٦٠٠٠ جندي ببنادقهم لكن الغواصة استطاعت ان ترمي النقالة بطربيد فاغرقتها وكانت مدافع النقالة ومدافع النسَّافة قد أُطلقت عليها مراراً فاتلفت عيناً من عينيها وخافت ان تتلف العين الثانية فلاذت بالفرار بعد اغراق النقالة وحدث مثل ذلك للغواصة الروسية تيولن فانها التقت بنقالة مسلحة في ١٢ اكتوبر

قرب البوسفور وكان قبطان النقالة المانيًّا فدنت الغواصة منها واطلقت مدافعها عليها بغتةً فاجابتها النقالة بمدافعها . ودام اطلاق النار من الطرفين ساعةً ولكن الغرض الذي امام الغواصة اكبر جدًّا من الغرض الذي امام النقالة فتسهل اصابتهُ فاضطرت النقالة ان ترفع راية التسليم لان النار اضطرمت في اماكن كثيرة منها من مدافع الغواصة وكان قبطانها قد وقع في البحر فصعد بحارة الغواصة اليها واطفأُوا النار منها واستلموها وقادوها بمن فيها الى سفاستوبول

ان كانت المعارك التي دارت رحاها بين الغواصات والسفن الحربية قليلة فالمعارك التي وقعت بين الغواصات والطيارات اقل منها. واولى هذه المعارك دارت بين غواصة انكليزية وبلون من نوع تسبلن وذلك في الرابع من شهر مايو سنة ١٩١٦. فان ذلك البلون ارسلهُ الاسطول الالماني للاستطلاع في معركة جتلند البحرية فرآهُ طرادان خفيفان من طرادات الانكليز واطلقا النار عليهِ ليسقطاهُ او يمنعاهُ من رمي القنابل لان القنبلة الواحدة اذا وقعت على سفينة فقد تقضي عليها فاصابتهُ قنبلة من قنابل الطرادين وكادت تعطلهُ فلاذ بالفرار ورأَتهُ حينئذٍ غواصة انكليزية وكان قد اضطرَّ ان ينخفض من علوهِ الشاهق فاطلقت عليهِ قنابل مدافعها واتلفتهُ فوقع في البحر وغرق اكثر الذين كانوا فيهِ وانقذت الغواصة الباقين وهم سبعة وعادت بهم الى انكلترا. ورآها طراد الماني وهي راجعةُ واطلق النار عليها فاضرَّ بها ولكنهُ لم يغرقها فوصلت باسراها سالمةً وهي اول غواصة اصطادت مركبًا هوائيًّا

وقد تقع الحرب بين غواصة وغواصة كما حدث في بحر الادرياتيك في ١٧ يونيو سنة ١٩١٥ اذ التقت الغواصة مدوزا الايطالية بغواصة نمسوية وكانت الغواصتان غائصتين في الماء لا يظهر منهما الأَّ عيناهما فكانت كلٌّ منهما تجهل وجود الاخرى على مقربة منها. واتفق ان الغواصة الايطالية صعدت الى وجه الماء لتغير هواءها فرأَتها الغواصة النمسوية بعينها واطلقت عليها طربيداً فاغرقتها ووُجد خمسة من بحارتها احياءً فأُنقذوا وجيءَ بهم الى پولا وانقطع خبر الغواصة النمسوية فلم يعلم حينئذٍ ماذا جرى لها . وبعد حين كان الغواصون يبحثون عن الغواصة الايطالية في قاع البحر فوجدوا الغواصة النمسوية الى جانبها . واتضح حينئذٍ ان الغواصة الايطالية نطحت الغواصة النمسوية وهي هابطة فاغرقتها معها

ويشبه ذلك ما حدث لغواصة نمسوية اخرى ومدمرة ايطالية فان المدمرة كانت تخفر نقالة ايطالية فيها ٣٠٠٠ جندي فلما رأَت الغواصة هجمت عليها مسرعة لكي تنطحها وتغرقها لكن الغواصة غاصت في الماء حالاً فرمتها المدمرة بالقنابل فاصابتها وعطلتها حتى اضطرت

ان تعود الى سطح الماء وتمكنت حينئذٍ من رمي المدمرة بطربيد ولم تمضِ الأ دقائق قليلة حتى غرقت الغواصة والمدمرة معاً ونجا ١٣ من بحارة الغواصة فوجدوا قارباً ساروا بهِ نحو ساحل البانيا ونجا بحارة المدمرة ايضاً وتبعوا بحارة الغواصة واسروهم

ومن الطيارات نوع يطير في الهواء ويسبح على وجه الماء اطلقنا عليهِ اسم الطيارات المائية . وهذه الطيارات تحمل القنابل وتطارد الغواصات وتغرقها كما تطاردها الطيارات الهوائية وتغرقها ويسهل عليها ذلك لان الانسان اذا كان محلقاً في الجو استطاع ان يرى ما تحت الماء

ومما ذكر من المعارك التي دارت بين الطيارات والغواصات معركة ٢٦ اغسطس سنة ١٩١٥ فان طياراً انكليزيًّا كان طائراً قبالة استند فرأى غواصة المانية فعزم ان يوقع بها وكان وحدهُ في طيارتهِ فهبط الى علو ٥٠٠ قدم فوق الماء ورمى القنابل على الغواصة فاصابتها واغرقتها حالاً وقد فعل ذلك والمدافع تطلق عليهِ من البر ومن الغواصة ولكنهُ لم يحفل بها . وفي ٢٨ نوفمبر سنة ١٩١٥ كان طيار انكليزي وضابط فرنسوي في طيارة امام شاطئ بلجيكا فشاهدا غواصة المانية وطرحا عليها قنبلة واحدة فاغرقتها . وفي ذلك اليوم عينهِ التقى طيار انكليزي باربع طيارات مائية المانية ومعها مدمرة المانية امام ساحل بلجيكا فهجم على اقرب الطيارات اليهِ وانزلها الى البحر بنار مدفعهِ فغرقت حالاً ثم هجم على المدمرة لكن المدمرة قابلتهُ بنار مدافعها ورآهُ رجال المدفعية من البر فسدَّدوا اليهِ مدافعهم وقابلوهُ بنار حامية فاضطر ان يلوذ بالفرار

وفي الثلاثين من نوفمبر الماضي كانت طيّارتان مائيتان تطيران قرب پُرنا في مكدونية فرأتا قطاراً بلغاريًّا سائراً فطارتا فوقهُ ورشقتاهُ بالقنابل فجرحت السائق ورمتهُ من القطار وظل القطار جاريًا وحدهُ باشد سرعتهِ من غير سائق ولا يُعلَم ما حلَّ بهِ

وقد استخدمت الغواصات لنزع الالغام البحرية . من ذلك ان الغواصة بابين الفرنسوية طافت في بحر الادرياتيك لكي تنظفهُ من الالغام التي وضعها النمسويون فيهِ فاتلفت كثيراً من الالغام الطافية على وجه الماء باطلاق القنابل عليها ثم قطعت اسلاك مئة لغم آخر وربط ربانها (الملازم كوشين) اثنين من تلك الالغام وسار بهما الى اقرب مرفإ ايطالي كشاهد على ما فعل . وكثيراً ما اشتغلت الطيارات الالمانية بالتقاط الالغام من البحر واتلافها

ومن المحتمل ان تكون الطيارات المائية انجع دواء لداء الغواصات فتنجي السفن التجارية منها اذا طارت على جوانبها في اسفارها

طرائف من ادب العرب

(٣)

عمر الخيّام وحجة الاسلام

«كان عمر الخيّامي مع تبحرهِ في علوم الحكمة سيئ الخلق لهُ ضنّة بالتعليم والافادة . وربما طوّل الكلام في جواب ما يسئل عنهُ بذكر المقدمات البعيدة وايراد ما لا يتوقف المطلوب على ايرادهِ ضنة منهُ بالاسراع الى الجواب . دخل عليهِ حجة الاسلام الغزالي يوماً وسألهُ عن المرجّح لتعيين جزء من اجزاء الفلك للقبطية دون غيرهِ مع انهُ متشابه الاجزاء . فطول الخيامي الكلام والخوض في محلّ النزاع كما هو دأبهُ وامتدّ كلامهُ الى ان اذن الظهر فقال الغزالي جاء الحق وزهق الباطل وقام وخرج »

وعمر الخيّامي او عمر الخيّام وهذه اشهر شاعر فارسي ومن اشهر اهل زمانهِ في الفلسفة والفلك والرياضيات . وقد نظم في العربية ايضاً ومن شعرهِ فيها قولهُ :

اذا رضيت نفسي بميسور بلغةٍ   يحصلها بالكدّ كفي وساعدي
امنت تصاريف الحوادث كلّها   فكن يا زماني موعدي ومواعدي
أليس قضا الافلاك في دورها بان   تعيد الى نحسٍ جميع المساعدِ
فيا نفس صبراً في مقيلك انما   تخرّ ذراهُ بانقضاض القواعدِ

والف في العربية ايضاً ومن اشهر مؤلفاتهِ فيها كتابهُ في الجبر . ومربّعاتهُ او رباعيّاتهُ الصوفية اشهر من ان تعرّف . قالت السيكلوبيديا البريطانية في وصفها : ومع ان بعض رباعياتهِ صوفية فان معظمها افكار مفكّر حرّ مستقلّ الفكر يرفع عقيرتهُ محتجاً على ضيق صدر العلماء المحافظين وغلواء الصوفية المتطرفين . وقد قاتل هؤلاء بسلاحهم فلجأ الى الصوفية في شعرهِ للقضاء على الصوفية نفسها ففاز بأربهِ اذ جعلها مضغة في الافواه ووقراً في الآذان بتعريضها للتهكم والسخرية . وهو يشبه حافظاً (شاعر فارسي آخر مشهور) كلّ الشبه من هذا الوجه ولكنهُ اعلى كعباً منهُ وارفع مقاماً بلا خلاف . ولطالما لقبهُ المتأخرون بفولتير الشرق لما رُمي بهِ من الالحاد والتعطيل ولاخفاء زندقتهِ وراء ستار الصوفية . وعندنا انهُ يشبه فولتير من حيث سلامة ديباجتهِ وظرف مجونهِ وتهكمهُ القاتل لتعصب اهل زمانهِ وحسن انعطافهِ الى بني الناس عامة واحساسهُ بما يحسّون في مسرّاتهم وضرّائهم . وهنا تنتهي

اوجه الشبه . فان فولتير الفيلسوف الفرنسوي الكبير لم يكتب شيئاً يوازي شعر عمر الحكيم وبيانهُ الساحر في مدح الخمر والحب وكل الملاذ الارضية وتبرمهُ من الاقدار التي قضت على كل عظيم وطيّب وجميل في هذا العالم بالانحلال البطيء او الموت السريع وبالنسيان الابدي . ولتجدنَّ في شعرهِ ما تجد في شعر بيرون وسو ينبرن وشوبنهور من التطيُّر والتشاؤُم والنظر الى الوجه القاتم من هذه الحياة الدنيا مما يدلُّ على ان التشاؤُم الحديث ليس ابن ساعتهِ ولا هو بدعة من بدع الفكر الفلسفي والخيال الشعري »

وقد عاش الخيام في اواخر القرن الحادي عشر واوائل الثاني عشر للمسيح وكان معاصراً لابي حامد الغزالي الملقب بحجة الاسلام والمعدود من اشهر علماء الكلام اي « الحجاج على العقائد الدينية بالادلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين عن مذاهب السلف » . واشهر مؤلفاتهِ كتاب البسيط والوسيط والوجيز واحياء علوم الدين . وقد قيل في هذا الاخير « لو ذهبت كتب الاسلام وبقي الاحياء لاغنى عمّا ذهب »⁽¹⁾

والمشهور عن لفظ اسمهِ انهُ بالزاي المشددة نسبة الى الغزل كأَنهُ كان غزّالاً هو او ابوهُ او جدهُ قبل ابيهِ . ولكن السيكلوبيديا البريطانية نقلت اسمهُ بالزاي الخفيفة وقالت في وصفهِ « انهُ فيلسوف عربي من علماء الكلام ولد في طوس وهو سليل اسرة من غزالة (قرب طوس) اشتهرت بعلومها الدينية »⁽٢⁾ . ثم ذكرت تعيين نظام الملك وزير السلطان ملك شاه السلجوقي اياهُ مدرساً في المدرسة النظامية ببغداد فكتب يطعن في الاسماعيلية المعروفين بالحشاشين (وفي الانكليزية assassins اي السفّاحين والاصل واحد) وذكرت تركهُ التدريس فيها بدعوى تكاثر شكوكهِ وشبهها الى حدّ ان باتت غول يقظتهِ وكابوس احلامهِ ولم تلبث طويلاً ان فسحت مجالاً للصوفية في صدرهِ

فوائد في اللغة

« القعود هو الانتقال من علوّ الى سفل ولهذا يقال لمن أُصيب برجليهِ مقعد . والجلوس هو الانتقال من سفل الى علو . والعرب تقول للقائم اقعد وللنائم او الساجد اجلس . ويقولون

---

(١) انظر تاريخ الآداب العربية للفريز

(٢) وفي الكشكول ما يؤيد ذلك . فقد جاء فيهِ « ونسبتهُ الى غزالة قرية من قرى طوس » . على ان ابن خلكان يورد الروايتين ولا يرجح واحدة على الاخرى . فقد جاء فيهِ ما نصهُ : « والغزالي بفتح الغين المعجمة وتشديد الزاي المعجمة وبعد الالف لام هذه النسبة الى الغزّال على عادة اهل خوارزم وجرجان فانهم ينسبون الى القصار القصاري والى العطار العطاري . وقيل ان الزاي مخففة نسبة الى غزَالة وهي قرية من قرى طوس . وهو خلاف المشهور ولكن هكذا قالهُ السمعاني في كتاب الانساب »

للعليل هو معلول فيخطئون لان المعلول هو الذي سقي العَلَل (١) وهو الشرب الثاني · واما المفعول من العلة فهو معَلٌّ »

شيءٌ في الفلك

« رأيت في كتاب الفتوحات المكية في الباب التاسع والستين منهُ وهو الباب المعقود لبيان اسرار الصلاة ما يدلُّ بصريحهِ على ان انوار جميع الكواكب مستفادة من نور الشمس · وكذا في كتاب الهياكل للشيخ السهروردي ما يدلُّ على ذلك · فانهُ قال ان الشمس هي التي تعطي جميع الاجرام ضوأها ولا تأخذ منها · قال المحقق الدواني في شرحهِ لهذا الكلام هذا يدلُّ على ان انوار جميع الكواكب مستفادة من الشمس كما هو مذهب بعض اساطين الحكماء · وجامع الكتاب (اي صاحب الكشكول) يقول هذا هو الحق · وفي المثنوي للعارف الرومي ما يدل على ما ذكرناهُ وانهُ الحق »

وكاتب هذه المقالة يقول ايضاً هذا هو الحق اذا اريد بالاجرام السيارات فقط ولم يرد الثوابت وان علم الفلك الحديث يؤيد علم الهيئة القديم فيهِ · ومما يذكر في هذا الصدد ان فلكيي العرب مثل ابناء شاكر والبتاني وغيرهم عرفوا عن الافلاك اموراً كثيرة يقرُّها علم الفلك الحديث · فقد ذكر عن ابناء شاكر (وكانوا معاصرين للمأمون) ان المأمون قرأ في كتب الفلك القديمة ان محيط كرة الارض اربعة وعشرون الف ميل وطلب منهم تأييد ذلك بالبرهان العملي بقولهِ « اريد منكم ان تباشروا اختبار ذلك بانفسكم حتى نبصر هل يتحرر ام لا » ففعلوا ولذلك حديث طويل يطلب في مواطنهِ فتحقق المأمون صحة ما ورد في كتب القدماء عن مقدار دور الارض

وقال المسعودي في كتاب مروج الذهب : وذكر خالد بن عبدالله المروزي وغيرهُ وقد كانوا رصدوا الشمس لامير المؤمنين المأمون في بريه سنجار من بلاد ديار ربيعة ان مقدار درجة واحدة من وجه الارض ٥٦ ميلاً فضربوا مقدار درجة واحدة في ثلثمائة وستين فوجدوا دور منطقة كرة الارض المحيطة بالبر والبحر عشرين الف ميل ومائة وستين ميلاً ثم ضربوا دور الارض في سبعة فاجتمع مائة الف ميل واحد واربعون الف ميل ومائة وعشرون ميلاً فقسموا ذلك على اثنين وعشرين وخرج القسم الذي هو مقدار قطر الارض ستة آلاف واربعمائة واربعة عشر ميلاً ونصف عشر بالتقريب والميل اربعة آلاف ذراع

---

(١) ومنهُ المثل عللٌ بعد نهلٌ اي شربة ثانية بعد الشوبة الاولى التي اروت الغلة

بالاسود وهي الذراع التي وضعها امير المؤمنين المأمون للثياب ومساحة البناء وقسمة المنازل . والذراع مائة وعشرون اصبعاً »

وجاء في مكان آخر قولهُ : زعم بطليموس صاحب كتاب المجسطي ان استدارة الارض كلها جبالها و بحارها اربعة وعشرون الف ميل وان قطرها وهو عرضها وعمقها سبعة (١) آلاف وستمائة وستة وثلاثون ميلاً . وان من كان مسكنهُ وسط الارضين وعند خط الاستواء استوت ساعات ليلهِ ونهارهِ ورأى المحورين اعني القطب الشمالي والقطب الجنوبي فاما اهل البلد التي مالت الى ناحية الشمال فانهم يرون القطب الشمالي و بنات نعش (الدب الاكبر) ولا يرون القطب الجنوبي » انتهى

والمعروف الآن ان دور الارض وهو ما يسمَّى بحسب الاصطلاح الحديث محيطها نحو ٢٤٨٥٧ ميلاً وقطرها نحو ٧٩١٢ ميلاً والعرب نقلوا ما تقدم عن اليونان ولكن اقدام فلكييهم على تأييدهِ عمليًّا كما ورد في الروايتين المذكورتين آنفًا دليل على انهم قرنوا العلم بالعمل فلم يكونوا مجرَّد نقلة ونسَّاخ بل علماء درسوا وفهموا ولولا ذلك ما استطاعوا البرهان على القضايا النظرية بالعمل

وفي مروج الذهب كثير من الامور الفلكية الصحيحة ولكن كثيراً ما يُحشر بينها تخرصات ليست من علم الفلك في شيء . فبينا تراهُ يخبرك ان اهل النصف الشمالي من كرة الارض يرون القطب الشمالي و بنات نعش ولا يرون القطب الجنوبي وان الكوكب سهيلاً لا يرى بناحية خراسان و يرى في العراق في السنة اياماً اذا بهِ يقول في وصف هذا الكوكب « ولا تقع عين جمل من الجمال عليهِ الا هلك على حسب ما ذكرناهُ وماذكر الناس من العلة في ذلك في موت هذا النوع من الحيوان » . و بينا تراهُ يصف انهار اسيا وافريقية وصفاً صادقاً على الاجمال و يسفّه الجاحظ حيث زعم ان نهر السند من النيل مستدلاًّ على ذلك بكثرة التماسيح فيهِ ويصحح خطأَهُ بقولهِ « اولم يعلم ان نهر السند يخرج من اعالي بلاد السند من ارض القنوج وارض قشمير » الخ تراهُ هو نفسهُ يقع في شرٍّ مما وقع الجاحظ فيهِ . فقد قال في وصف التمساح « يموت في دويبة تكون في ساحل النيل وجزائرهِ . وذلك ان التمساح لا دبر لهُ (كذا) وما يأكلهُ يكون في بطنهِ دوداً واذا آذاهُ ذلك الدود خرج الى البرّ فاستلقى على قفاهُ فاغراً فاهُ فينقض عليهِ طير الماء فيأكل ما ظهر في جوفهِ من ذلك الدود وتكون تلك الدويبة قد كمنت في الرمل تراعيهِ فتدب الى حلقهِ وتصير في جوفهِ فتخرقهُ وتقتلهُ » الخ

---

(١) في المطبوع عندنا تسعة والصواب سبعة كما ترى

وهكذا كان علماء النبات والحيوان وغيرهم يفعلون فيصفون هذا النبات وذلك الحيوان ويجيدون في الوصف احياناً ولكنهم يتطرقون من ذلك الى امور تضحك الجاهل فضلاً عن العاقل . فقد قال الدميري في كلامهِ على الضبع مثلاً «ومن عجيب امرها انها كالارنب تكون سنة ذكراً وسنة انثى فتلقح في حال الذكورة وتلد في حال الانوثة نقلهُ الجاحظ والزمخشري في ربيع الابرار والقزويني في عجائب المخلوقات» الخ ومنهم من قال انها خنثى وانها تتولد من حيوانين مختلفين كالبغل الى غير ذلك من الترهات . ويكفي المحزون ان يفتح كتاباً كحياة الحيوان الكبرى للدميري ويقرأ خواص حيوان من الحيوانات من شعرهِ الى شحمهِ فمرارتهِ فجلدهِ فاسنانهِ فدمهِ فكبدهِ حتى ينتفي حزنهُ وينقلب بكاؤُهُ ضحكاً

التهتك في الادب

«توهمهُ طرفي فآلم خدّهُ فصار مكان الوهم من خدهِ إثرُ

وصافحهُ كفي فآلم كفّهُ فمن صفح كفي في انامله عقرُ

ومرّ بفكري خاطراً فجرحتهُ ولم أرَ خلقاً قطّ يجرحهُ الفكرُ»

رأى صاحب الكشكول ان ينقل هذه الابيات وهذا لهُ ولكنهُ لما شاء التعليق عليها قال «يقال ان هذه الابيات لما بلغت الجاحظ قال ....» ويلي ذلك كلام سفيه ليس من الادب في شيء وهو من قلة الادب كلّ شيء . ولست ادري ايهما احق بالملام القائل ام الناقل . على ان هذه شنشنة عرفناها من بعض الكتاب . فانك بينما تراهم محلقين في سماء الخيال الصافي والكمالات الصمدانية الخالية من كل شائبة اذا بك تراهم وقد تسفلوا بعد التصعد ودنسوا ذلك الخيال السامي بارجاس هذه الاقوال المخزية . حتى ان ابن الاثير المؤرخ على رزانتهِ وعلى ان ليس في موضوعهِ مجال لامثال هذه المخازي لم يسلم منها . فانهُ عقد فصلاً تاريخياً على بني تميم وسجاح وما كان من امر مالك بن نويرة معهم وختمهُ بحكاية وابيات يستحي الخليع ان يتفوه بها . وقد كان تاريخهُ عنها في غناء بل هي منهُ كالكلف في وجه الحسناء

والعادة عند كتاب الغرب اذا ارادوا اقتباس عبارة لا تدخل الآذان بلا استئذان ان يترجموها الى اللاتينية او اليونانية القديمة فلا يخدشوا بها اذهان الناشئة ولا يطلع عليها الاَّ من يهمهم ان يعرفوها اذ الغاية منها تقرير حقيقة لا التلهّي بنكر القول وفحشهِ

وان لسان المرء ما لم تكن لهُ حصاةٌ على عوراتهِ لدليلُ

والقلم نائب اللسان في دولة الادب

شيء من التشريح والفسيولوجيا

«كلُّ حيوان يتنفّس باستنشاق الهواء فهو انما يتنفس من انفهِ فقط الاَّ الانسان فانهُ يتنفس من انفهِ وفيهِ معاً . وسبب ذلك ان الانسان يحتاج الى الكلام بتقطيع حروف مخرج بعضها الالف(١) فيحتاج الى نفوذ الهواء فيهِ . وقد فتح بيطار فم فرس بآلة سدت منخريهِ فمات على المكان . والانسان اضعف شمّاً من سائر الحيوان فهو يحتال على ادراك الرائحة بالتسخين تارة وبالحك وتصغير الاجزاء اخرى . وعند اعلى الانف منفذان دقيقان جداً ينفذان الى داخل العينين بحذاء الموق وفيهما تنفذ الروائح الحادّة الى داخل العينين . فلذلك تتضرر العينان برائحة الصنان(٢) وتدمع من شم البصل ونحوهِ . ومن هذين المنفذين تنفذ الفضول الغليظة التي في داخل العينين وهي التي تجهد عند الاندفاع بالدموع . واذا حدث لهذين المنفذين انسداد كما في الغرب(٣) كثرت الفضول فكثرت امراض العين لذلك»

الصحيح من هذا التشريح ومن هذه الفسيولوجيا قولهُ ان الانسان اضعف شمّاً من سائر الحيوان او بعض سائرهِ ولكن الناس على اختلاف في ذلك فان الهنود الاميركيين يميزون الاشخاص برائحتها الخاصة وهذا نتيجة التربية . والمنفذان المذكوران هما القناتان الانفيتان ووظيفتهما حمل الدموع من العين بعد غسلها ومنهما تنفذ الفضول الغليظة التي في داخل العين كما قال . اما حكاية البيطار والفرس ففيها نظر لان الحيوان يستطيع التنفس من فيهِ كالانسان ولو لم تكن وظيفة الفم الاصلية التنفس . أَلم ترَ الكلب والهر يتثاءبان وتثاؤُبهما بما يصحبهُ من شهيق وزفير انما يكون بطريق الفم . او لم تسمع الحمار ينهق بصوتهِ المنكر وليس الصفير الذي يصحب ذلك النهيق سوى الصوت الحادث من دخول الهواء الى انفهِ وفيهِ

ومن غريب توارد التعابير قولهُ «مات على المكان» وهي مثل قولهم بالانكليزية died on the spot ومعناها حالاً او في ارضهِ كما تقول العامة . فكأَنها مترجمة عن الانكليزية او التعبير الانكليزي مقتبس من العربية

وامثال هذا التعبير ليست قليلة فمنها قولهم اخذ على نفسهِ وفي الانكليزية to take upon one's self . ومنها قولهم حفنة من الرجال وفي الانكليزية a handful of men فقد نقل عن ابي بكر قولهُ «وما نحن الاَّ حفنة من حفنات الله» اي شيء يسير

---

(١) هكذا وردت والصواب الانف (٢) زفر الابط (٣) ورم الموق

شيء من الفلسفة الطبيعية

« الخلاف مشهور في ان رؤْية الوجه مثلاً في الصقيل هل هو بالانعكاس عنهُ او بالانطباع فيهِ . والادلة من الجانبين لا تكاد تسلم من خدش . ولجامع الكتاب دليل على انهُ بالانطباع لا بالانعكاس وهو ان التجربة شاهد برؤية المستوي في المرآة معكوساً والمعكوس مستوياً . مثلاً الكتابة ترى في المرآة معكوسة ونقش الخاتم (الذي يراد للامضاء) يرى مستوياً وهذا يعطي الانطباع كما ترسم الكتابة من ورقة على اخرى فترى معكوسة ويختم بالخاتم فيرى الختم مستوياً . ولو كان بالانعكاس لرؤي على ما هو عليهِ اذ المرئي على القول بالانعكاس هو ذلك الشيء بعينهِ الأ ان الرائي يتوهم انهُ يراهُ مقابلاً كما هو المعتاد تأمّل »

وكتب اللغة لا تنصّ على الانعكاس والانطباع والفرق بينهما فالبحث في ذلك من المباحث الجدلية العقيمة التي لانفع منها كبحث علماء القرون الوسطى في كم من الملائكة يستطيعون الرقص على رأس الابرة . واذا اوقف حمار بين حزمتي حشيش وكان على بعد واحد منها فالى ايتهما يميل وقس على ذلك . والمعروف عندنا ان صورة الاشباح تنعكس عن المرآة معكوسة وتنطبع على لوحة المصوّر الفوتغرافي معكوسة مقلوبة وعليهِ سمّوا هذا اللوح بالسلبي ثم تطبع منهُ على الورق فتستوي وهي الصورة الايجابية . ومثل ذلك يحصل في العين عند الابصار فان صورة المرئيات تنطبع عليها معكوسة مقلوبة عاليها سافلها ولكنها تراها مستوية اما بحكم العادة واما لان العصب البصري يتأثر باشعة النور وباتجاهها اليهِ فيجمعها في النقط التي تجمع فيها لو اخرجت على استقامتها

القروي الاديب

« قال الحجاج عند موتهِ اللهم اغفرلي فانهم يقولون انك لا تغفر لي . وكان عمر بن عبد العزيز تعجبهُ هذه الكلمة ويغبطهُ عليها . ولما حكي ذلك للحسن البصري قال أَوَ قالها . فقيل نعم . فقال عسى »

والحجاج كما جاء في مقال سابق كان عامل عبد الملك بن مروان على العراق وقد بزّ اهل عصرهِ في فصاحتهِ وسياستهِ وظلمهِ . اما فصاحتهُ فقد قال ابو عمرو بن العلاء « ما رأيت افصح من الحسن البصري ومن الحجاج بن يوسف الثقفي » . وقال آخر ان الحجاج افصح قروي (١) ممعتهُ . واما سياستهُ فالحكايات عنها كثيرة ولا محل لها هنا فلتراجع في

---

(١) يراد بالقروي هنا وضيع الاصل كأنها ترجمة كلمة plebeian الافرنجية

اما كتبها كالعقد الفريد لابن عبد ربهِ والبيان والتبيين للجاحظ · واما ظلمهُ فيكفي في الدلالة عليهِ قولهم انهُ كان في سجون العراق عند موتهِ نحو مئة وعشرين الف نسمة

واقل ما قالوا فيهِ قول عمر بن عبد العزيز « لو جاءت كل امة بمنافقيها وجئنا بالحجاج لفضلناهم »

وقول الشعبي — لمن قال لهُ يزعم الناس ان الحجاج مؤمن — « مؤمن بالجبت والطاغوت(١) كافر بالله »

ويقال ان عبد الملك بن مروان قال للحجاج صف لي عيوبك · قال اعفني يا امير المؤمنين· قال لا بد ان تقول· قال انا لجوج حسود حقود · قال ما في ابليس شرٌّ من هذا »

اقول ان قول الحجّاج قولتهُ المذكورة آنفًا يدل على عظم إيمانهِ برحمة الله وسعة غفرانهِ والايمان باب النجاء · وهذا ما جعل عمر بن عبد العزيز يغبطهُ عليها بعد ان وصفهُ بالنفاق والحسن البصري يرجي ان يكون قالها

وقد ذكر ابن خلكان انهُ كان في مرض موتهِ يردد هذين البيتين

يا ربِّ قد حلف الاعداء واجتهدوا … أيمانهم انني من ساكني النارِ
ايحلفون على عمياء ويحهمُ … ما ظنُّهم بعظم العفو غفّار

وكتب الى الوليد بن عبد الملك كتابًا يخبرهُ فيهِ بمرضهِ وقال في آخرهِ :

اذا ما لقيت الله عني راضيًا … فان سرور النفس فيما هنالكِ
فحسبي حياة الله من كلّ ميتٍ … وحسبي بقاء الله من كل هالكِ
لقد ذاق هذا الموت من كان قبلنا … ونحن نذوق الموت من بعد ذلكِ

والظاهر ان « المستشرقين » من علماء الغرب يرون ان ما ابدى الحجاج من البراعة في القيادة والمقدرة في الحكم يشفع فيما اجترح من السيئات وفيما ركب من الظلم · فهم لذلك ميالون الى الاغماض والتجاوز عن تلك السيئات ضاربين عليها حجبًا من الاعذار صفيقة كانت او سخيفة شفافة · ومنهم المستشرق الهولندي جان دي جيجي · فقد كلفتهُ السيكلوبيديا البريطانية قبل وفاتهِ بسنة ان يكتب لها مقالة في تاريخ الخلافة عند العرب لتنشرها في طبعتها الحادية عشرة (الاخيرة) فكتب مقالة ملأت ثلاثين صفحة · ومما جاء فيها عند ختام الكلام على الحجاج قولهُ :

---

(١) الجبت والطاغوت اسما صنمين في الاشهر

« وقلما استهدف انسان لمفتريات من همز ولمز استهداف هذا الحاكم الشرقي العظيم لها. فقد كان والحق يقال رجلاً ذا اقتدار عجيب فامضى المهمة التي انتدب لها بعزم وحزم . فهو الذي خضد فتنة ابن الاشعث بحسن ثباتهِ ورباطة جأشهِ فلما اعيد الامن الى نصابهِ ظهرت كفاءتهُ على اتم مجاليها في كل وجهة وُلّيها . فمن احياء موات الارض (في العراق) الى ترقية الزراعة بكل وسيلة وخصوصاً حفر الترع الى تنظيم الضرائب وجباية الاعشار مما كان فيهِ مبتكراً لا مقتبساً . واظهر حكمة فائقة في اختيار عمالهِ وبلغ من هيبتهِ ورهبة اسمهِ ان استتبَّ النظام حتى في البادية فامن الناس فيها على ارواحهم ومتاعهم . ولا ريب ان معظم السبب في انتصاراتهِ الحربية المتوالية شدة عنايتهِ « بمهمات » جيشهِ من سلاح ومؤُونة . ولقد كان الحجاج مسلماً صادق الاسلام ولكن هذا لم يمنعهُ من مهاجمة ابن الزبير وحصر مكة والايقاع بالعصاة من الشهداء وابناء الصحابيين » (نقيب)

استعمار السوريين بين العهدين

تمهيد

للسوري القديم — الفينيقي — في عالَم الاستعمار والمهاجرة سفر مكتوب بماء الذهب على صفحات البحار ملؤهُ طلب العلاء ولو باقتحام الاخطار . وللسوريّ الحديث الذي ضرب في بلاد الله طولاً وعرضاً شمالاً وجنوباً شرقاً وغرباً سفر آخر خليق بهِ كسليل الفينيقيين اسياد البحار . ولكن بين السفرين صفحة غير مكتوبة عن سوريي الاجيال القريبة من العهد المسيحيّ والاجيال الوسطى . ولدى البحث يتبيّن ان تلك الصفحة حلقة متصلة لا منفصلة في سلسلة المهاجرة التي ابتدأت بالفينيقيين وانتهت بمهاجري اليوم وان ذياك السوري تمَّم في هذا السبيل ما اورثهُ لهُ السلَف وشرع بما ورثهُ عنهُ الخلَف

ولما كان تاريخ المهاجرة السورية بين عهد الفينيقيين — وامرهم معروف — وعهدنا الحاضر الذي لا يحتاج الى تعريف نسياً منسيّاً وصفحة مطوية كان لا بد من الاكتفاء بذكر حوادث مقتضَبة غير متّصلة عثرنا عليها هنا وهناك . وهي القليل الذي يدلّ على الكثير والتي يجب اعتبارها ازهاراً القاها الينا التاريخ من فوق حائط نجهل ما يحيط بهِ نجاءت خير دليل على ان هناك بستاناً كثير الرياحين

العصر السلوقي

دوَّخ الاسكندر سورية عام ٣٣٢ ق٠م وتولّاها بعدهُ خلفاؤُهُ السلوقيون نحواً من ثلاثة قرون فتقاطرت اليها اقدام المكدونيين اليونان واسَّسوا فيها مستعمراتهم ومدنهم ونشروا لغتهم وتمدُّنهم · والامر الذي قلَّما ينتبه لهُ الكتَّاب والمؤَرخون ان المهاجرة لم تكن الى سورية فقط بل منها ايضاً وان المدنية اليونانية لم تؤَثر في سورية بقدر ما أثَّرت المدنيَّة السورية — بواسطة الوطنيين والمهاجرين — في اليونان · والحقيقة ان كثيراً من الصنّاع والتجّار السوريين نزحوا في ذلك العصر الى المراكز التجارية في بلاد اليونان وانشأُوا فيها معاملهم ومصارفهم ومخازنهم · واشتهر من هذه المستعمرات السورية في القرن الثاني قبل المسيح مستعمرة في پَيريس ميناء اثينا واخرى في رودس اصل سكّانها من جزيرة رواد كان لهم حاكم منهم · وكان اهمها المستعمرة السورية في جزيرة ديلوس اقام فيها المستعمرون هيكلاً عظيماً لعبادة الإلاهة السورية اطارغتس (وهي افروديت اوعشتروت) ولعبادة بعلهاهدد⁽¹⁾ ومن هذا الهيكل انتشرت عبادة هذين الالهين السوريين في بلاد اليونان · وكان للسوريين فيها طريقة دينية ذات صولة وكانت ديلوس سوقاً للاتجار بالرقيق السوري وهؤُلاء الارقاء انتهت بهم الحال الى هناك اما جملة بداعي الحروب او افراداً بسبب الدَّين والافلاس او ارتكاب الجرائم · وبعضهم كان النخاسون يسرقونهم او يشترونهم من ذويهم كما يشترون سلعة من السلع · واذا تذكّرنا ان الاسكندر نقل من صور وحدها ٣٠٠٠٠ اسير وان تيطس بعدهُ باربعة قرون اسر ٩٠٠٠٠ من سكان اورشليم هان علينا تصوّر عدد الارقاء السوريين خارج بلادهم

كثر عدد الرقيق السوري في سهول صقلية الزراعية واشتدَّ عليهم ضغط اسيادهم من يونان ورومان · حتى ان المحرّك الاول والزعيم الاكبر للحروب المعروفة « بحروب الرقيق » التي طار شرارها عام ١٣٥ ق٠م وتركت صقلية قاعاً صفصفاً كان شابّاً من حماه اسمهُ يونُس ادّعى ان الاهتهُ السورية المتعبّد لها جعلتهُ ملكاً وامرتهُ برفع لواء الثورة والعصيان فعمد الى اثبات دعواهُ باظهار مقدرتهِ على بلع النار · كذلك ادّعى النبوّة سلقيوس زعيم ثورة عام ١٠٣ ق٠م وسمى نفسهُ تريفون Tryphon باسم احد الملوك السوريين

لم يكن الملوك السلوقيون من منشّطي العلم والادب · ولم يجد شعراء سورية وعلماؤُها

---

(١) سمي بهذا الاسم عدد من اشخاص العهد القديم · انظر تكوين ٣٦ : ٣٦ والملوك الاول ١١ : ١٤

وخطباؤُها من الاتباع والتلامذة والمريدين قدر ما ارادوا فنزحوا عنها وجعلوا يطوفون من مكان الى آخر في اسيا الصغرى وجزائر البحر و بلاد اليونان وايطاليا

فقد نشأ من مواليد جَدَره (١) المشرفة على اليرموك (وهي اليوم خرابات ام قيس في حوران) الشاعر الانثولوجي مليغر Meleager وهو من ارومة سورية. وُلد حوالي سنة ١٣٥ ق.م واتقن الآرامية والفينيقية واليونانية ثم نزح الى جزيرة كوس حيث عكف على الدروس الفلسفية وألَّف كتاباً سماهُ بالاكليل "Anthologos" جمع فيهِ قصائد شاردة لستة واربعين شاعراً ممَّن سبقهُ واضاف اليها طائفةً من منظوماتهِ. وشبَّه كل شاعر من اولئك الشعراء بزهرة تناسب موهبتهُ وتمادى في ذلك الى وصف نباتات سورية ومنها القصب العَطِر الذي قال عنهُ انهُ ينمو في جوار لبنان و بحر الجليل. ومن مميزات هذا الشاعر اعجابهُ بالطبيعة ووصفهُ لمحاسنها — الامر الذي تمتاز بهِ الآداب السورية. فهو واضع العلم المعروف بعلم الانثولوجيا

وكان من معاصريهِ بوسيدونيُس Posidonius الفيلسوف الرواقي والمؤرخ الذي درس عليهِ جماعة من علماء الرومان ومهَّد السبيل للعصر الاوغسطي الذهبي. وُلد هذا الفيلسوف في حماه عام ١٣٥ ق.م وبعد ان تخرَّج في مدارس اثينا جال في اوربا يدرس التاريخ والجغرافية والفلسفة وترأس اخيراً المدرسة الرواقية في رودس حيث درس عليهِ شيشرون الخطيب. وكان شيشرون قبل ذلك تلميذاً لانطيوخوس العسقلاني رئيس احدى مدارس اثينا. ومن المشاهير الذين قصدوا بوسيدونيُس لزيارتهِ القائد بومبيوس الفاتح الروماني زارهُ في رودس مرَّتين

ومن مهاجري حماه النابغين الطبيب أرخيجنس Archigenes اشار اليهِ المؤرخ جوفينال مراراً في عداد ممارسي الطب في رومية وميزهُ بانهُ كان من الاخصائيين بالامراض العقلية. ومن مؤلفاتهِ كتاب في «النَبض» شرحهُ جالينوس

ثم اشتهر الشاعر أرخياس الذي وُلد عام ١١٨ ق.م في انطاكية فانهُ تقرَّب من كثير من اشراف الرومان واخصهم أُسرة لكلُّس العريقة في النسب. ثم هاجر الى البزنطية (القسطنطينية) حيث عُرف بالمقدرة على الخطابة ارتجالاً. ونافس لذلك معاصرهُ أنتيباتر Antipater الصيداوي الذي هجر بلادهُ — شأن اكثر مواطنيهِ النابغين — وجال في

---

(١) Renan "Mission de Phénicie" صفحة ٧٨٢

ايطاليا فجاءت اشعارهُ مثالاً يتحدَّاهُ من عقبهُ من شعراء اليونان والرومان واشهرهم كاتولُس Catulus

وممَّن نبغ من السوريين في اوائل القرن الاول قبل المسيح الفيلسوف الابِقيوري[1] النحوي اندرونيخُس Andronichus الذي اسَّس مدرسة في رومية ثم نقلها الى كومي . وكان من معاصريهِ پبليوس سيروس (اي السوري) واصلهُ من انطاكية . جيء بهِ الى رومية رقيقاً فحرَّرهُ مولاهُ لما رآهُ فيهِ من دلائل النجابة والفكاهة وسرعة الخاطر . فألَّف روايات وجيزة وجال من مكان الى آخر يمثلها بنفسهِ . وفي الالعاب التي اقامها يوليس قيصر عام ٤٥ ق . م جرت منافسة امامهُ بين الممثلين فنال هذا الشاب السوري الجائزة الاولى وحرمها لاَبِيرُس اعظم ممثلي رومية . وبقيت روايات پبليوس تمثَّل قرناً كاملاً بعد موتهِ ومنها ما وقع عليهِ الاختيار للتدريس في المدارس

العصر الروماني

الارقاء . اكتسح بمبيوس سورية عام ٦٣ — ٦٤ ق . م وعملاً بخطة تلك الايام نقل الرومان آلافاً من السوريين الى ايطاليا وولاياتها . وفي القرن الثاني بعد المسيح اخذ التجار يستوردون الارقاء من سورية ويبيعونهم في المدن البحرية بالمزاد العلني فتشتَّتوا في انحاء ايطاليا يحرثون اراضي فقدت سكانها بداعي الحروب ويخدمون في بيوت الاشراف والمتمولين ويسوقون المركبات ويحملون محفات مواليهم الى غير ذلك من الاعمال التي ذكرها المؤَرخ الروماني جوڤينال[2] . وانصرف بعضهم الى معاطاة السحر والتكهُّن وفن الصراع والعزف على آلات الطرب . واستخدم غيرهم كتَّاباً وعشَّارين في دوائر الحكومة ووكلاء على مزارع الاغنياء . كثر عدد الرقيق السوري حتى في طَرَنس كان القوم يدعون كل رقيق يجهلون اسمهُ «سيروس» (Syrus اي سوري) وازداد نفوذ الرقيق السوري واشتهر بالمهارة[3] فحُرِّر اكثرهُ واندمج في سكان البلاد التي هو فيها فكان ذلك طليعة جيش المهاجرين السوريين مع ان هجرتهم كانت الزامية

الجنود . بعد ان دخلت سورية في حوزة الرومان جعل الامبراطرة يجندون اهلها وينقلونهم الى ايطاليا واطراف المملكة فرساناً ورماة . فالفرقة الاوغسطية الثالثة

---

(١) من اتباع ابقيورس واهم تعاليم ابقيورس ان غاية الانسان العظمى انما هي التمتع باللذات والمسرَّات (٢) جوفينال . جلد ٦ صفحة ٢٥١ (٣) لفي . ج ٣٩ ص ٦

(Le G. III Augusta) التي اقامت في نوميديا (تونس) كان قوامها من شبان دمشق وحماه وطرابلس وبيروت وصور وصيداء · كذلك كانت الفرقة التراجانية الثانية التي اقامت في الاسكندرية · ولما انتخب اسبسيانس عام ٦٩ ب٠ م امبراطوراً نقل فرقتهُ السورية معهُ الى رومية · ومنذ ذلك الحين اصبحت جنود الفرق كلها من الولايات الأ ان الرومانيين كان يجوز لهم التطوُّع في فرقة الفرسان · ولما اتت الفرقة الغالية (من فرنسا) لنصرة هذا الامبراطور كانت جنودها تحيي الشمس لدن شروقها « وهي عادة السوريين » على ما لاحظهُ المؤَرخ تاشِطس (١) Tacitus · والجيش الذي جرَّدهُ اسكندر سفيرس (٢٢٢ — ٢٣٥ ب٠م) على المانيا كان معظمهُ من المشارقة · ولما اخضع تراجانس داشيا (رومانيا) نقل اليها شعوباً من أَدَسّا (الرها · اورفه) وتدمر (٢) · وجاء في التاريخ ان سرية عددها الف من رماة حمص انتدبها احد القياصرة للاقامة في پانونيا وأُخرى من رماة دمشق في المانيا العليا وغيرها من تدمر في بلاد المغرب · فكتب رجال هذه السرايا كتابات كثيرة بقي بعضها الى الآن وهي تدل على غيرتهم الدينية واحتفاظهم الشديد بدين آبائهم · ففي شمالي انكلترا قرب سور هدريانس وُجد شعر نظمهُ ضابط في مدح الإلاهةِ السورية · وآخر قرب نيوكاسل حيث في الراجح اقامت السرية الصورية · ولدى انتهاء الخدمة العسكرية كان بعض رجالها يعود الى بلادهِ وبعضهم يستقر حيث كان فينشر معتقدات بلادهِ وطُرق تفكيرها · ولقد عثر احد النقّابين على نصب في جنوبي فلسطين على تخوم بلاد العرب اقامهُ رجل تذكاراً لامرأَتهِ التي كان تزوّج بها في روان بفرنسا ورافقتهُ عند رجوعهِ الى بلادهِ وقال انها ماتت بعيدة عن وطنها (٣) · واكثر هذه الكتابات بالسريانية واليونانية اما اللاتينية فهي وان كانت يومئذٍ لغة سورية الرسمية فلم يتكلم بها سوى الهيئة الحاكمة وقليل من الضباط والتجار · والظاهر انهُ لم يكن من وسائط لدرس اللاتينية سوى مدرسة الشريعة في بيروت التي نشأت في القرن الاول بعد المسيح وازدهرت في القرن الثالث

التجّار · لم يكن الامن مستتبًّا في زمن الجمهورية الرومانية ولكن لما انقرض القرصان من بحر الروم على عهد الامبراطورية الرومانية كثر التجار السوريون "Syri Negotiatores" في المراكز التجارية والمدن البحرية من الولايات اللاتينية وكان عددهم يزداد سنوياً باعناق

---

(١) تاشطس ج ٢ ص ٢٤ (٢) بوتروبيوس ٨ : ٦

(٣) Revue Archéologique سنة ١٩٠١ ج ٢ ص ٣٧٥

الاذكياء النشيطين من الارقاء السوريين وانتهاء خدمة الجنود منهم فشادوا المستعمرات على شواطىء ايطاليا وغاليا (فرنسا) واسبانيا كما شادها قبلهم اسلافهم الفينيقيون والقرطجنيون ولم تزل آثارهم في نياپولس (نابولي) ورومية و پالرمو وسيراكيوس (من اعمال سسليا) وترفيري (في فرنسا) وتركو Tarraco (في اسبانيا) قائمة لليوم · ولقد اكتشف حديثاً في مالقه Malaga (من اعمال اسبانيا) كتابة تثبت وجود شركة سورية مساهمة فيها · واخرى في لبنان معنونة باسم تجارة في أرلس Arles (في فرنسا) يتعاطون شحن الحبوب · وعثر احدهم على تحرير يرتقي عهدهُ الى القرن الثالث كتبهُ رجل اسمهُ تَيم بن سعد احد وجهاء بلدة القنوات (١) وصاحب معملين على ضفة الرون في فرنسا · وكان في پُتيولي Puteoli مستعمرة صورية غنية لم تزل آثار مبانيها الضخمة قائمة لليوم · ومن آثارها كتاب كتبهُ اهلها في القرن الثاني الى مدينة صور جاء فيهِ ان عددهم قلَّ الى درجة يصعب عليهم معها القيام بفروضهم الدينية علناً واستئجار المنتدى الذي كانت نفقاتهُ ٢٥٠ ديناراً في السنة · ويظهر ان بعض سكان هذه المستعمرة كانوا عرباً فقد جاء في كتابة ان احدهم قدَّم جملين من ذهب نذراً لالههِ العربي · وكان في أستيا ميناء رومية مستعمرة سورية بقي منها لليوم آثار هيكل لمرنس Marnas اله المطر وشفيع مدينة غزّة

ولم يكتفِ هؤلاء المستعمرون بالاماكن السهلة المنال ولكنهم اجابةً لدافع اخلاقهم القومية الموروثة وهي الاستهزاء بالاخطار والطموح الى المعالي توغلوا في داخلية اوربا عن طريق الانهر المعروفة · فساروا على ضفاف الدانوب حتى اپولُم في داشيا وعلى ضفاف الرون حتى ليون وعلى ضفاف الجيرُند Gironde الى بوردو · وكان نصيب غاليا (فرنسا) منهم عظيماً · ولم يقف المهاجرون عند هذا الحدّ بل تطوَّحوا في الوهاد وبين الجبال الى القرى الصغيرة والمدن غير العامرة حيث المزاحمة التجارية على اخفها · وقد حفظت لنا جنيفا (في سويسرا) ولاباني ولوسي وغيرها من مدن الداخلية الصغيرة كتابات وهياكل وتماثيل لمثرا Mithra الاله الايراني الاصل والذي نشر عبادتهُ الرحّالون السوريون · فلا مبالغة اذا قلنا ان مستعمراتهم كانت يومئذٍ ترصّع خارطة اوربا كما ترصع النجوم قبة السماء

ولمَّا طمى جيش البربرية على شمال اوربا واغرق المدنية الرومانية في اواخر القرن الخامس وما بعد كانت هذه المستعمرات منائر للعلم والتمدن· حتى ان امواج الغزوات المتتابعة لم تكن

---

(١) باللاتينية « كنتا » · ذكرها يوسيفوس · قابل قناة في سفر العدد ٣٢ : ٤٢ وقنوات في دليل فلسطين وسوريا لبديكر

على شدتها وضخامتها لتطفئ مصباح هؤلاء المهاجرين او لتفتَّ من عضدهم فانهم تحت حكم الدولة المروڤنجية كانوا لم يزالوا يتكلمون لغتهم السامية ولما دخل كُنتران مدينة اورلين عام ٥٨٥ ب٠م استقبلهُ وفد يترنم بمدحهِ « بلسان اللاتين واليهود والسوريين » على ما ذكر المؤرخ غريغوري ده تور (١)٠ والظاهر ان مستعمرة باريس كانت اهم هذه المستعمرات واشدها ساعداً يدلك على ذلك انها عام ٥٩١ ب٠م كان لها من السطوة ما مكَّنها من ان تسيم احد ابنائها اسقفاً عامًّا على عاصمة الافرنسيس وتستولي على عدد كبير من المناصب الاكليريكية (٢)

وانعكاف هؤلاء المهاجرين هذا على العمل واقتحامهم الاخطار حدا بالقديس اروفيموس الذي مات في اوائل القرن الخامس الى كتابة كلماتهِ المأثورة وهي ان رغبة السوري في الاعمال التجارية التي من ورائها ربح تحملهُ الى اقاصي المعمور

وما زال سيل مهاجرة السوريين يتعاظم الى ان قضى العرب في القرنين السابع والثامن على الملاحة في البحر المتوسط وسدوا سبل التجارة البحرية

وقد شيَّد المستعمرون السوريون المصارف « البنوك » واقاموا المكاتب للعمولة والسمسرة وشحن البضائع واسسوا المحلات التجارية بل احتكروا تجارة الشرق باسرها٠ وكانوا يستوردون البضائع الشرقية وهي الخمر والزيوت من لبنان ووادي العاصي وغزّة والزجاج واللؤلؤ والارجوان من صور وصيداء والحرير والصوف من مدن فلسطين والبضائع الكتانية والمصنوعات المعدنية من بيروت وجبيل والاثمار المقددة من دمشق ٠ وفي اوائل العهد الروماني كانت تجارة اوربا مع الشرق الاقصى عن طريق البحر الاحمر فالاسكندرية برًّا ومنها الى المدن الاوربية البحرية ٠ اما بعد ان دخلت بلاد العرب في القرن الثاني تحت السلطة الرومانية وبعد ان مهَّد تراجنس وخلفاؤُهُ الطرق التجارية في سورية اخذت البضائع من بلاد فارس والهند والصين ترد عن طريق خليج العجم فدجلة والفرات ثم برًّا الى مدن سورية البحرية فاصبحت تلك المدن مستودعاً لاوربا تشحن منها الطيوب من شبه جزيرة العرب والجواهر والعاج من الهند والتحف والاقمشة من بلاد فارس ٠ وفي عهد يستنيانوس أُدخل دود القزّ وشجر التوت الى سورية فاستغنى بذلك عن حرير الصين واليابان٠ وعلى الجملة فقول حزقيال عن تجارة صور في عهدهِ يصح على سورية في هذا العهد كما صح عليها في عهدهِ

---

(١) غريغوري ده تور ٨:١ (٢) غريغوري ده تور ٧ . ٢٩

ولم يكن المستعمرون كلهم تجّاراً وعملاء بل كان بينهم كثيرون من اصحاب الفنادق والموسيقيين والنقّاشين وغيرهم من الصنّاع لاسيما من عملة الزجاج والصبّاغين . ولما عاد ڤيرس الامبراطور الخليع من حروبهِ في پارثيا (ارمينيا وما جاورها) عرَّج على اللاذقية واخذ منها جيشاً من الموسيقيين والممثلين والمازحين الذين كان لهم في ذوق البلاد الايطالية تأثير يُذكر

الكهنة . وكان بين المهاجرين السوريين رهط من الكهنة والسحرة والعرّافات والمتنبين والمتنبيات والمشعوذين يخدمون الهياكل في المدن التي كان فيها من المستعمرين عدد كافٍ لاقامة الهياكل ويجولون في الاقاليم الزراعية التي لم يكن فيها العدد الكافي منهم لتشييد المذابح اكراماً لآلهة آبائهم واجدادهم . والظاهر انهُ نشأ بين هؤلاء الكهنة المتجولين طغمة كانت تتنقل من مكان الى آخر وتجمع من المؤمنين النذور والعشور باسم الإلاهة السورية وتقاسم الارقاء حصصهم . ومما جاء في وصف رئيس لهذه الطغمة يدعي فليبُس Philebus انهُ كان شيخاً ابيض الشعر يسير واتباعهُ من قرية الى اخرى وراء دابة عليها تمثال الإلاهة السورية يغشاها الحرير . وهم يعزفون على الصنوج ويضربون على الدفوف والطبول ويرقصون بالفؤوس والسكاكين . وكانت وجوههم مدهونة ورؤوسهم ملفوفة بالعمائم . وشاحهم من الحرير وفي ارجلهم احذية صفراء وقد يجلدون انفسهم ويجرحون ابدانهم علانية من باب التوبة والتقشف . وفي اواخر الجمهورية الرومانية كان للعرّافات السوريات شأن رفيع في رومية . ولقد روى فلوطرخس ان مستشار ماريوس القائد الروماني الكبير كان عرّافة سورية اسمها مرثا لم يقدم ماريوس على عمل حربي الاَّ بعد الاظلاع على رأيها (١)

تأثيرهم

بهذه الطرق الاربع — الرقيق والجندي والتاجر والكاهن — وجد التمدن السوري سبيلاً الى الشعب الروماني ونفخ فيهِ روحاً جديدة سياسيًّا وفلسفيًّا وعلميًّا وادبيًّا وفنيًّا ودينيًّا اشترك فيهِ الرجال والنساء كما سيجيء

جامعة كولمبيا بنيويورك فيليب حتي

---

(١) حياة ماريوس لفلوطرخس صفحة ١٧

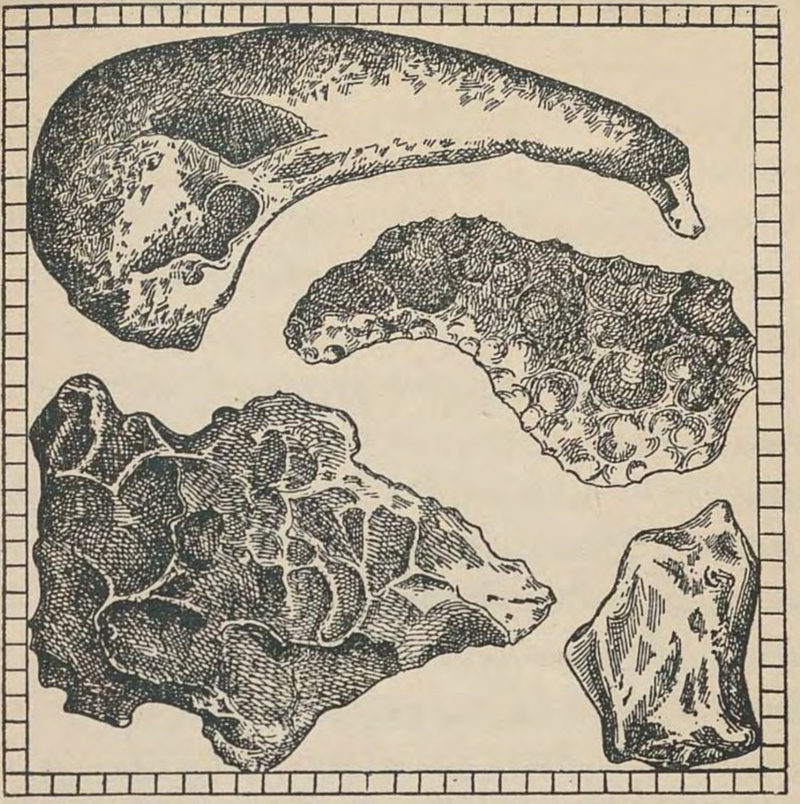

بعض اشكال الرجوم

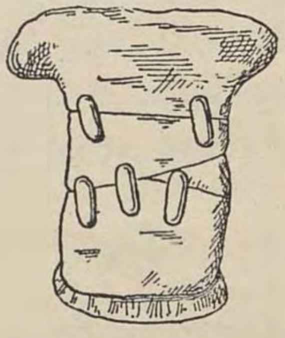

سكين امرأة

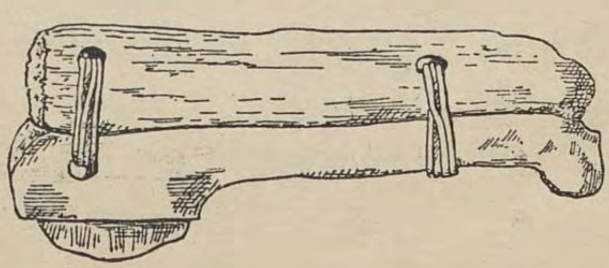

سكين رجل

مقتطف يونيو ١٩١٧
امام الصفحة ٥٤٥

الرجوم

او الحجارة النيزكية (١)

الرجوم او النيازك كما نعرفها وكما تصل الارض من الفضاء على ثلاثة انواع الاول ما يسمّى سيدريت وهو مؤلف من حديد نكلي · والثاني اروليت وهو من مادة حجرية في الاكثر · والثالث سيدروليت وهو مؤلف من الاثنين معاً

وقد اختلف علماء الآثار رأياً في مصدر الحديد الذي كان الانسان يستعملهُ قبل التاريخ اي قبلما عرف كيف يستخرج الحديد من معدنهِ · على ان الاكثرين يرون ان الانسان لم يعرف الحديد النيزكي اي حديد الرجوم بانين حكمهم هذا على اربعة اسباب الاول ان جميع العدد والادوات الحديدية التي وجدت من بقايا الانسان في العالم القديم هي كلها تقريباً من مصدر ارضيّ وفي جملتها القطعة التي وجدت في هرم الجيزة الاكبر · والثاني اعتقاد الانسان القديم بان الحديد النيزكي غير قابل للطرق والسبك · والثالث انهُ شديد الندرة · والرابع ان الانسان القديم لم يكن يستطيع بما لديهِ من الوسائل ان يقتطع قطعاً صغيرة من الحجارة النيزكية · وسنبين فساد هذه الاسباب او الحجج ولكننا قبل ذلك نقول

لا خلاف في ان ادوات الحديد كانت في العصور الاولى اندر من النادر بل اندر من حلى الذهب وربما كانت اثمن منها · فان كان الامر كذلك فلِمَ لم يحرص الانسان الاول عليها ويُعنَ باذخارها عنايتهُ باذخار الذهب · فقد ترك لنا فيما ترك كثيراً من الحلى الذهبية التي تزين بها صدور متاحفنا في حين انهُ لم يترك اداة مصنوعة من الرجوم · وسبب ذلك ان قيمة هذه الرجوم متوقفة على سبكها واستعمالها عدداً واسلحة وادوات مختلفة فاذخارها وحفظها يبطلان قيمتها · وهذا يبطل الحجة الاولى · ومما يذكر في هذا الصدد ان الادوات المصنوعة من الحديد النيزكي ليست نادرة في العالم الجديد (اميركا) ندرتها في العالم القديم وسبب ذلك ان الانسان في العالم القديم استخرج الحديد من معادنهِ منذ اكثر من ثلاثة آلاف سنة فلم يدخل هذا الحديد العالم الجديد الاَّ بعد اكتشافهِ منذ نحو اربع مئة سنة · وظاهر ان الاشياء التي عمرها اكثر من ثلاثة آلاف سنة هي أندر في أيامنا من الاشياء التي لم يقم مقامها غيرها الاَّ منذ اربع مئة سنة

---

(١) ملخص من مقالة في مجلة ناتشر الانكليزية

وقد وضع بعضهم جدولاً بالرجوم المعروفة فاذا هي لا يزيد ثقلها كلها على ٢٥٠ طنًّا منها ٩٩ في المئة معدن قابل التطريق لانهُ مزيج من الحديد والنكل وهذا يبطل الحجة الثانية . ثم انها وجدت كلها في القرن الماضي وهذا يبطل الحجة الثالثة القائلة بان الحديد النيزكي شديد الندرة

و يدلُّ منظر هذه الرجوم على انها كِسَرٌ من حجارة اكبر منها كما يرى في الشكل الاول . اي انها ليست ككرات المدافع وحجارة مثل هذه يسهل قطع شظايا منها حتى على من لم ليس عندهُ ادوات وآلات تذكر كما كان الانسان الاول . وهذا يبطل الحجة الرابعة . فقد كان القدماء يكسرون الرجوم كما كانوا يكسرون قطع النحاس التي وجدت على شطوط البحيرة العليا في اميركا الشمالية ولكن مادة الرجوم اصلب من مادة النحاس كما لا يخفى . ومعلوم انهُ لما اكمل الاسبان فتح المكسيك وجدوا عند الاهالي الاصليين سكاكين وخناجر وادوات اخرى مصنوعة من الحديد . فحار الاسبان في مصدر ذلك الحديد . وكانوا اذا سألوا الاهلين يشيرون بايديهم الى السماء كأنهم يقولون انهُ هبط عليهم منها . ولكننا نحن نعلم الآن مصدرها ونعلم ان اهل المكسيك صادقون في اشارتهم لان حديدهم من حجارة الرجوم . وكذلك صنع الاسكيمو و بعض قبائل الهنود وشرق سيبيريا اسلحة وادوات من الرجوم

والرجوم المشهورة كثيرة هبطت من الجوّ الى الارض آنًا بعد آنٍ منذ قديم الزمان . ومن اشهرها رجم سقط سنة ٤٠٣ قبل المسيح في عهد بندار الشاعر اليوناني . وآخر قيل انهُ سقط قبل حصار ترواده في عهد الملك ايتيوكليس . وذكر بلينيوس عدة رجوم وعدَّ لڤيوس المؤرخ ٣١ منها سقطت في ٥١ سنة من عمرهِ

وترى في الشكل الثاني سكينين من سكاكين الاسكيمو القدماء نحتتا من رجم سقط قدماً ثم اكتشفهُ الاميرال بيري في خليج ملفيل عند اكتشافهِ للقطب الشمالي . فالعليا منهما سكين امرأة واسمها عندهم « اودو » ومقبضها من العاج . والسفلى سكين رجل واسمها عندهم « ساڤك » طولها اربع بوصات ومقبضها مصنوع من الخشب والعظم

و يقال بالاختصار ان الانسان كان يستعمل الحديد قبل سنة ١٢٠٠ قبل المسيح وكان يستخرجهُ من الرجوم او البراكين او بقايا الحرائق او الصواعق او الحديد الممزوج بالتلوريوم وهو معدن ابيض لونهُ بين الفضة والقصدير

الدود المعوي

قلما يخطر في بال احد ان الدودة الاسطوانية الحمراء التي تظهر احياناً في البراز تعرّض المصاب بها الى مرض شديد الخطر على حياتهِ . ولا عجب فان الآراء حتى النصف الاخير من القرن التاسع عشر انقسمت الى شطرين من حيث انها تسبب لمصاب بها داء الانسداد المعويّ اذا اهمل شأنها وتركت بلا مقاومة . وكان في طليعة الفريق المخالف الاستاذان لايكانسترن Leichenstern وتريفز Treves فقد انكرا انها تورث هذا الداء او مضاعفاتهِ وملحقاتهِ وكان من الفريق المسلّم بانها تسد الامعاء في ظروف ملائمة وان تكن قليلة الاساتذة تروسو Trousseau وبريتونو Bretonneau وشتس Stutz وهم اول من اعلنوا عنها واذاعوا فعلها

وفي سنة ١٨٨٧ ظهر تقرير لبوردروني Bordoroni وستب Stepp عن اصابتين بداء الانسداد المعوي اثبت الفحص التشريحي ان سببهما الدودة الاسطوانية لا غيرها

وكان سيمون Simon يشرّح سنة ١٨٩٢ ميتاً مات باعراض الانسداد فوجد كتلة من الدود وقد احتبك الدود فيها واشتدّ تماسكهُ فسدت القناة الهضمية سدًّا محكماً

وجاء في تقرير بتوف Botoff ١٨٩٧ ذكر حادثة بالانسداد ومضاعفاتهِ كثقب الجدار المعوي والتهاب البريتون وقد اثبت الفحص التشريحي وجود ٥٠٠ دودة في المعى اللفائفي في الجزء الذي ينتهي بالاعور . ثم ورد في تقرير زتوف Zotoff عن موسلر Mosler وبيبر Peiper ذكر حادثة فتاة عمرها ثلاث سنين ماتت باعراض هذا الداء وبالتهاب البريتون . وقد وجد ثقبان في جدار المعى اللفائفي يبعدان عن الاعور ١٧½ البوصة وبرز من الثقب الواحد ٢٥ دودة ووجد القولون الصاعد والقولون المعترض ممتلئين دوداً وعدّ نحو ٥٠٠ منهُ

وذكر فن ميتر Von Meter اصابة ولد عمرهُ ثلاث سنين وبضعة اشهر بالانسداد وقد اجرى لهُ عملية جراحية في المعى اللفائفي اخرج منهُ كتلة كبيرة من الدود فشفي الولد . ودعي فيكاري Vichery لعيادة حامل فوجدها مصابة باعراض لا تختلف عن اعراض هذا الداء فوصف لها سنتونين واعقبهُ بجرعة من زيت الخروع وكانت النتيجة ان الامرأة نجت وزالت الاعراض التي كانت بادية عليها بسبب العلاج المتقدم وتقيأت اثنتي عشرة دودة من النوع الاسطواني وستاً من النوع الخيطي ولكنها اجهضت في اليوم التالي . واحصى فننغ Venning ٢٧٣ دودة اخرجها من المعى اللفائفي والاعور والصائم في حادثة ولد عمرهُ سنتان ونصف

ونشر بارت Perret رسالة في المجلة الطبية الاميركية عن حادثة عالجها وشفيت عن يدهِ من غير عملية جراحية وخلاصتها ان فتاة عمرها ٨ سنين دخلت الى المستشفى في مساء ١٤ مارس سنة ١٩١٦ باعراض الانسداد المعوي مثل قيء وانتفاخ وتطبل في البطن. وجسَّ كتلة قاسية بحجم برتقالة كبيرة في الجزء السفلي البطني لناحية اليسار وكان قد مضى على المريضة خمسة ايام وعالجها في منزل والديها طبيب العائلة بلا جدوى. ولما يئس من شفائها احضرها الى المستشفى وتولى علاجها الطبيب المذكور. وفي مساء ١٥ مارس اي في اليوم التالي لدخولها المستشفى وصف لها حقنة شرجية وبعد نصف ساعة زال الخطر عن الفتاة وشعرت براحة مما كانت تقاسيهِ اذ أُخرجت كتلة مؤلفة من اربعين دودة كما ترى في الشكل الاول

وهذه الحادثة ذكرتنا بفتاة من الجيزة عمرها ست سنين احضرتها امها للعيادة في شهر يونيو من السنة الفائتة للتداوي وقصَّت علينا ما كانت تشكو منهُ ابنتها وتشاهدهُ في برازها من الدود الرفيع الخيطي فوصفنا لها سنتونين وكلومال وفي اليوم التالي حضرت الام ومعها علبة فيها بضع عشرة دودة من النوع الاسطواني الاحمر وقالت وهي مدهوشة ان ابنتها تقيأت ست دودات في مساء اليوم الذي حضرت فيهِ الى عيادتنا وفي اليوم التالي شاهدت في برازها سبع عشرة دودة وضعتها في العلبة وجاءَت بها لاصدق روايتها

فيظهر مما تقدم ان هذه الدودة تقيم في المعى الدقيق وتشاهد في الاولاد من الثالثة الى العاشرة. وطول الدودة خمس بوصات الى عشر والانثى اطول من الذكر وشكل البيضة بيضوي وقطر الواحدة جزء من اربعمائة من البوصة. وهذا الدود يدخل الجسم من الفم مع الماء والخضر والفاكهة ولاسيما اذا كانت غير نظيفة. والغريب في هذه الدودة انها لا يطيب لها الاقامة وحدها فاذا لم تجد لها رفيقاً يؤانسها هجرت محل اقامتها الى المعدة فتخرج مع القيء او تظهر احياناً بارزة من الانف او الاذن. وليس ببعيد ان تدخل القناة الصفراوية وتسبب داء اليرقان او تدخل الكبد من القناة الصفراوية الصغيرة فتحدث في الكبد خراجات كبدية. وقد وجدت في البنكرياس والزائدة الدودية والوريد الطحالي وتكون احياناً سبب الناسور السري. اما الاعراض التي تدل على وجودها في الجسم في حال عدم ظهورها في البراز فمغص مصحوب بتطبل في البطن وسوء هضم وفقدان شهية الاكل واضطراب في حالتي اليقظة والنوم والميل الى حك الانف من الداخل والجرش بالاسنان في حالة النوم. وعلاجها السنتونين والوقاية افضل منهُ في كل حال

الدكتور شخاشيري

الدود المعوي الاسطواني الاحمر

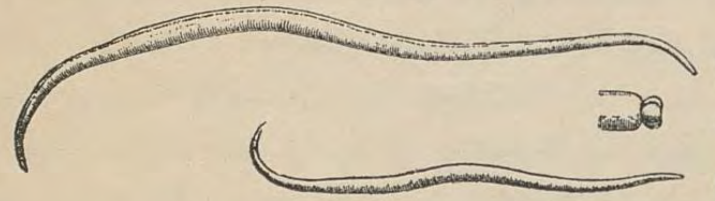

(ا) انثى (ب) رأسها (ج) ذكر

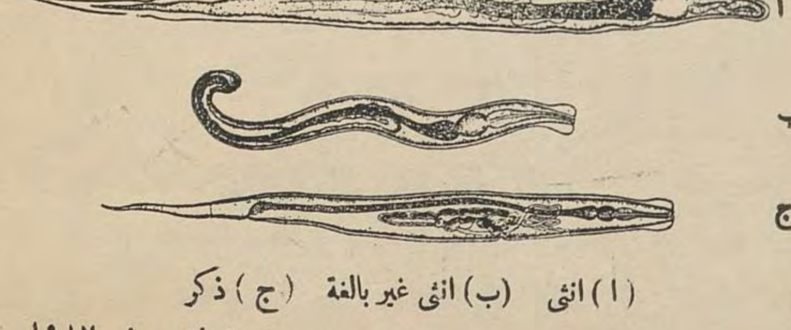

(ا) انثى (ب) انثى غير بالغة (ج) ذكر

مقتطف يونيو ١٩١٧

امام الصفحة ٥٤٨

القَدَرية والجبرية

المسؤولية

طبيعة فكرتها وكيفية تكونها في النفس

(٤)

اذا كان الاجتماع هو المكوّن الاول لفكرة المسؤولية وكانت جرثومتها لا يقوم بناؤها الأ كما توجههُ وحدات الاجتماع الايمانية فهل هذه الجرثومة هي هي بعينها في كل النفوس . فاذا انت وضعت شخصين في وسط اجتماعي واحد وعرضت عليهما صوراً واحدة كانت كمُّ فكرة المسؤولية وكيفها واتجاهها واحداً . وبكلمة اخرى هل فكرة المسؤولية امر اجتماعي بحت يتأثر بهِ الفرد من غير ان يكون لتكوينهِ هو الخاص اثر فيهِ . لقد سبق لنا فيما كتبنا عن الاختيار والاضطرار ان اظهرنا ان هناك عوامل كثيرة تعمل في تكوين حياة الفرد الخاصة كالوراثة وطوارئ الحوادث ونوع التربية وبينَّا حينذاك ان الفرد وان لم يكن لهُ وجود خاص وانما هو ذرة تصرّفها حياة العالم وهي تسير مكرهة في الطريق الذي يرسم لها . فان في هذه العوالم الخاصة ما يكفي للتفرقة بين الافراد في الوجهات التي توجّههم اليها الحياة . هذه العوامل نفسها واخصها الوراثة والطوارىء واحداث الصدف ونوع التربية هي التي تجعل لصورة الحياة الاجتماعية في نفس الفرد لوناً خاصًّا وتجعلهُ يتصور المسؤولية على نحو خاص . صحيح ان مجموع الوحدات الايمانية هو الذي يرسم الطريق الذي تتبعهُ هذه العوامل ولكن هذه العوامل قد تبلغ من نفوس بعض الافراد احياناً فتطمس على الطريق وتأخذ صاحبها الى وجهة اخرى تجعلهُ اما مجرماً اثيماً او شاعراً كبيراً او نبياً كريماً وفي الاحايين الاخرى والغالبة لا تصل الى هذا ولكنها تجعل دائماً شيئاً من التضارب يقوم بين الوحدات الايمانية او البعض منها وبين الفرد . وهذا التضارب هو ما يدفع بهِ الى ما يسميهِ الناس الخطيئة . والشخص الذي تنطبق نفسهُ تمام الانطباق على الوسط الذي يعيش فيهِ هو الشخص الذي اتبعت وراثتهُ مجرى تطور الانسانية فلم تزد اطاعتهُ على ما يريد الاجتماع ان يحبوهُ اياهُ ولم يشعر بثقل حمل الواجبات التي يضعها الاجتماع على عاتقهِ

وهذا النوع الاخير من الافراد نادر جدًّا ان لم نقل معدوم كليةً . وكأن ذلك الخيال القديم الباقي خيال آدم وهو خارج على الوسط الذي عاش فيهِ مرتكب تلك الخطيئة

التي اخرجتهُ وابناءهُ من الجنة هو هو صورة كل واحد من بني آدم · وانما يجب ان نلاحظ ايضاً ان العوامل التي تؤَثر في نفس الفرد لا تصل الى ملاشاة صورة الجمعية من نفسهِ الأ في احيان نادرة · فالمجرمون بالخلق والمجانين العظماء قلال في العالم جدًّا · واما ما عدا هؤُلاء من الافراد الذين يكوّنون سواد الانسانية فهم مرآة لصورة الجمعية التي يعيشون فيها · وعلى مقدار دقتهم او عدم دقتهم في تلقي هذه الصورة يكون تكوُّن فكرة المسؤُولية في نفوسهم · وهؤُلاء الاشخاص الذين لم يصلوا بالتربية ليفكروا لانفسهم ولم تخرجهم عوامل خاصة كالوراثة والصدف عن طريق الحياة المعتاد تنطبع في نفسهم صورة الجمعية التي يعيشون فيها انطباعاً يكاد يكون تامًّا ولذلك تقوم المسؤُولية في نفوسهم وحدةً مكونةً متماسكةً مرتبطةً اتم الارتباط بالصورة المذكورة · من هذا ما لوحظ من ان بعض القبائل المتوحشة يبلغ الندم على الخطيئة من نفوس بعض افرادها حتى لتراهُ نائحًا منتحبًا مهما قلّت قيمة الخطيئة التي ارتكبها · وكأَن هذا الفرد يشعر بانهُ جزء متضامن مع الكل الذي هو الجمعية · ومن امثلة ذلك ان بعض قبائل استراليا تحرم على الشبان منها اكل نوع خاص من انواع الصيد النادرة التي يحتفظ بها لتقدَّم للرجال والكهول تكريمًا واعزازاً · وبلغ من شأن ذلك التحريم ان من يتعداهُ يجازى بالقتل · ولقد شوهد من بين الشبان الذين انتهكوا حرمة ذلك القانون ولو تحت اثر الجوع من يقدمون انفسهم معترفين بذنبهم مظهرين اشد الندم عليهِ · وهذا الاعتبار للفرد كوحدة اجتماعية لا وجود لها بذاتها هو الذي سمح لقبائل العرب ولقبائل استراليا ان يحسبوا جريمة واحد من قبيلة اخرى تقع على قبيلتهم مستوجبة مسؤُولية كل فرد من افراد تلك القبيلة الاخرى حتى لتهدأ ثائرة الانتقام في نفس من وقعت عليهِ الجريمة متى قتل اي فرد من افراد قبيلة واترهِ · وقد استمرت هذه الفكرة فكرة تضامن الفرد في المسؤُولية مع الجماعة التي هو منها تتسلسل على العصور الى ما بعد المسيحية · وانا لنقرأُ في هرودوتس ابي التاريخ قصص الملك كريسس (قارون) الذي ذهب يشكو الى الاله ابولون ما لاقى من هزيمة وذلّ في موقعة سرديس بعد ما افاض على هذا الاله من تحف وقرابين فيجيبهُ رسول ابولون بما يأْتي : محال ان تنجو حتى الآلهة مما قدر لها · ويجب ان يذكر كريسس انهُ انما لاقى جزاء خطيئة جدهِ الخامس الذي كان فارساً في حرس كاندول احد ابناء الهراقلة ثم ترك نفسهُ تتسلط عليها امرأَة تدفعهُ آخر الامر لقتل سيدهِ الملك واغتصاب تاج لم يكن لهُ · ولقد جاهد ابولون رجاء ارجاء مصيبة سرديس حتى تقع على رأس اخلاف كريسس ولا تصيب اباهم فلم يُقبَل رجاؤُهُ ولا استطاع اخلاف القدر ·

وكل ما وصل اليهِ ان امتد خراب سرديس لسنين ثلاث مقبلة · وانما نال ذلك كره احكام المقادير » · وهنالك يعترف كريسس ان الذنب ذنبهُ الموروث لا ذنب الاله

ومن ذلك كلهِ يرى ان الفرد العادي يعتبر نفسهُ ذرة مماثلة لكل ذرات الجمعية الاخرى ويشعر في اعماق نفسهِ انهُ متضامن تضامنًا تامًّا مع هاتيك الذرات حتى ليسأل هو عن التكفير عمَّا يقع منها · وليس شيء ابلغ من ذلك في الدلالة على ان الجمعية تطبع الافراد بطابعها وتعدم شخصيتهم لتقيم في قرارة قلوبهم شخصيتها وتجعلهم بذلك يسيرون على السنن التي تسنها هي لهم من غير ان يكون لهم في تلك السنن اي اختيار

ولكن الوف القرون التي مرت بالانسانية لم تترك فرداً من افرادها من غير ان تخلق لهُ ظروفًا خاصة تكوّن في نفسهِ شيئًا من الفردية الواقفة ظاهراً في وجه الجمعية البارزة ضد طابعها · فتعاقب الوراثات المختلفة وتنافس المدنيات المتناقضة وتناقض المذاهب والملل وقيام الحروب الشعواء من اجل مناصرة هذه المذاهب وتلك المدنيات كل ذلك وما سواهُ جعل الصورة الاجتماعية يداخلها في بعض المواضع شيء من الابهام يسمح لقوى خاصة في نفس الفرد ان تقوم وتقوى وتصل من ذلك الى مناهضة الجمعية وقوانينها السائدة مناهضة يختلف مقدارها باختلاف الملكات والقوى وباختلاف الظروف التي قامت فيها تلك الملكات وتكونت وقويت · ففي نفوس هؤلاء الافراد تقوم فكرة المسؤولية على اساس يتفق مع طابع الجمعية الى الحد الذي تبدأ بعدهُ تلك القوى والظروف الفردية تناوئ الوحدات الايمانية السائدة · اما بعد هذا الحد فتكون فكرة المسؤولية مضطربة لا يحدها الأ الجزاء القانوني المقابل لما يبعثها من الاعمال والحركات الفردية

وكلما ازدادت الظروف الخاصة وسمحت للفرد ان يقوم بكلهِ في وجه الجمعية تداعت في النفس فكرة المسؤولية وحلت محلها اعتبارات خاصة نرجئ بحثها الى ان نصل للمقارنة بين فكرتي المسؤولية والجدارة

هذه القواعد التي قُدّمت تنطبق على الاشخاص الذين يتبعون فطرتهم ويسيرون مع عواطفهم سواء كانت هذه الفكرة وتلك العواطف اجتماعية او ضد الاجتماع · واما الاشخاص الذين يصلون من تربيتهم الى حد التفكير الفردي الخاص فاولئك يحملون مسؤولياتهم في كل صغيرة وكبيرة مما في الحياة · وذلك لا يمنع احساس بعضهم من ان يكون ميتًا امام الذنب الذي يرتكبهُ

بل ان اولئك الذين يصلون من تفكيرهم الفردي الى حد تحليل المسؤوليات التي تكونت

في نفوسهم من نعومة اظفارهم يكونون في الغالب اقل احساساً بعظم الخطيئة كما يكونون اقل دهشة او اعجاباً او تقديساً امام الجميل العظيم . وسبب ذلك هو ما قدمنا من ان التحليل والتنسيب يستدعيان الاحتمالات والافتراضات التي هي اساس الشكوك . والشكوك اذا بدأت عملها في تحليل المسؤولية اضطرت حتماً ان نتناول الوحدات الايمانية التي هي اساس المسؤولية . وهذه الوحدات الايمانية هي الغذاء الروحي الذي يدخل القلب والنفس و يعطيها من القوة ما يعطيهِ الغذاء المادي للجسم . فاذا دخلها الشك ابتدأت النفس تتزعزع و يعقب ذلك حتماً ازدراء للحياة وتقزز منها . ومتى داخل النفس التقزز صغر امامها كل شيء واحتقرت الوجود وما فيهِ . فتضاءل الاعجاب وتضاءل الاسف وخمد القلب وقلَّت نزعاتهُ الكريمة . ولولا ان فطرة استبقاء الحياة قوية جداً تغلب كل شيء لوصل المفكر الى نتائج أتعس من الرضوخ لاحتمال الحياة . ولكن هذه الفطرة القوية الفعالة تعيد كرتها عليهِ وتغالب فيهِ دواعي استنكار الحياة بانواع شتى من الحيل . ابسطها ان يسأل المرء نفسهُ وما نتيجة استنكار الحياة . هنالك يعاودهُ الامل و يرى وجوب الاخذ في الحياة العملية بواجبات قريبة من المتعارف تكوّن نظامهُ وطمأنينتهُ . ولكنهُ يبقى حاسًّا بشيء من الوحدة يدفعهُ ليجاهد في سبيل ادخال وحداتهِ الايمانية الخاصة في كتاب الاجتماع ليجد في الناس اخواناً واصدقاء . وهذا الجهاد هو نوع خاص من انواع المسؤولية نبينهُ فيما سيأتي ونوضح سببهُ ونتيجتهُ

ولكن هذه الصور التي جئنا بها في طريق تحليلنا لفكرة المسؤولية كالشذوذ الفردي والمجانين العظماء وخمود حاسية المفكر بالمسؤولية اليست في ظاهرها تقف في وجه الفكرة الاولى فكرة انطباع صورة الجمعية في نفس الفرد وتكوينها بذلك ضميرهُ وادخالها مبادئها عليهِ وتركها اياهُ يقدر المسؤولية بمقدار هذه المبادئ . فكيف يكون ذلك مع ما عليهِ الجمعية من قوة تكاد تلاشي الفرد كل التلاشي ؟ ان اول القوانين الطبيعية التي تعمل في كل المخلوقات الحية قانون بقاء الاصلح وفناء الشاذ . وهذا القانون لا يحتمل اي استثناء . فهو يستخدم كل الوسائل ليكون نافذاً على كل المخلوقات . فهل اضمحل في الجمعية الانسانية . وهل معنى القوانين والانظمة محاربة الطبيعة ونواميسها وان صح ذلك فكيف يكون النظام الاجتماعي طبيعيًّا وهو بنفسهِ يحارب الطبيعة

هذه مسائل واعتراضات يحار الذهن امامها اذا هو لم يستعن على حلها بمعلومات خارجة عن المنطق المجرد . واهم هذه المعلومات معرفة قانون التطور و كيفية عملهِ وتفاعلهِ مع قانون

بقاء الاصلح . فان الجمعية الانسانية لم تكن من الف الف سنة ما كانتهُ من الف قرن ولا ما هي عليهِ اليوم بل هي تتطوَّر وتدخل فيها عناصر وتنحل عناصر اخرى . وتنتقل بذلك من جيل الى جيل محمَّلة بماضيها مستمدة لانقلابات جديدة حاملة في جوفها بذور ثورات وانظمة واختراعات لاحد لها ولا نهاية . لكن حصول هذه الانقلابات ليس معناهُ فناء ما سبقها وقيام نظام جديد لا علاقة لهُ بالماضي . فان الطفرة مستحيلة استحالة تامة . ولكن الانقلابات معناها انهيار بناء متداع نخر السوس في اصلهِ وظهور ابنية جديدة كانت اسسها موجودةً يشعر الناس بها ولكنها لم تكن قد ارتفعت بعدُ واعلنت نفسها . وحتى الابنية القديمة التي تنهار لا تفنى فناء مطلقاً . ومهما كان من شدة حنق الانسانية حين قامت فدكتها فان ذلك لا يمنع هذه الانسانية نفسها حين تراجعها سكينتها من ان تبني لذكرى ذلك الماضي اضرحةً جميلة من الرخام النقي وان تقيم حولها الازهار وتخلدها باشعار رائعة . ذلك لان في الماضي مهما نخر اصولهُ السوس ذكرى ابائنا واجدادنا واعزةٍ علينا . فيهِ ذكرى عظماء الانسانية الخالدين . فيهِ ذكرى فرعون وموسى والمسيح ومحمد وشكسبير ونابليون . والماضي هو فوق ذلك فترةٌ من عمر الانسانية ذات اثر خالد في حاضرها ومستقبلها . ومن ذلك يظهر ان التطور ليس استحالتهُ تامة ولكنهُ فروع جديدة تنمو على الجذع الاصيل مكان فروع اخرى ذبلت وسقطت وتركت في ذلك الجذع القديم الخالد الذي يعز كل جيل من اجيالهِ آثاراً مندملة لا يمكن ان تزول

وحدوث هذا التطور راجع الى ما يلقيهِ جماعة الذين ينظرون الى الحوادث الاجتماعية نظراً سطحيًّا للتضارب بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة . فهذه الحركة العظيمة التي يسعى اليها كل واحد من بني آدم للوصول الى مركز عالٍ او ثروة ضخمة او متاع بالحياة كبير مضحيًا في سبيل ذلك بعض الاعتبارات الخلقية واصلاً احيانًا في هذه التضحية الى ارتكاب ما تحرمهُ سنن الاجتماع الادبية بل قواعدهُ القانونية — هي السلَّم التي تتدرج عليها الجمعية من حالتها البربرية الاولى الى مدنيات مختلفة وصلت الى ما نراهُ اليوم من عظمة السلام وعظمة الحرب . وهي السلَّم التي ينتظر ان تصل عليها الى ارقى مما نرى بكثير . لهذا فمهما جاهدت الجمعية بقوانينها ووحداتها الايمانية واكراهها المادي والمعنوي تريد ان تخضع الافراد لسلطانها فسيبقى دائمًا في قرارة النفس الفردية شيء كأنهُ يثور على هاته القوانين والقواعد والوحدات وعلى الرغم من هذا الاكراه . لأن هذا الشيء الكمين في النفس والاحساس الداخلي الذي يدفع الفرد مهما خضع لاوامر الجمعية التي هو منها ليثور عليها او ليفعل ما

قد يضرها والموجود في كل الافراد بكميات مختلفة هو اساس تلك الظاهرة الاجتماعية التي يقوم عليها التطوُّر الانساني . هو نزعة الجنس الى الكمال والتطلع الكمين في نفس الانسانية مأخوذة كوحدة قائمة بذاتها وسط وحدات الكون وعوالمهِ الاخرى يريد بها ان تصل لتحتل مكان القلب والعقل والروح من نفس الوجود كلهِ . على ان هذا الاحساس الدقيق العظيم تخمد جذوتهُ في معظم النفوس وتتحول في طريق لا يمكن ان يصل الى الغاية المرجوة في نفوس اخرى في حين هو يوفق كل التوفيق ويصل الى احسن النتائج في نفوس ثالثة . والخمود والتقهقر والنبوغ انما تكون بمقدار استعداد تيارات الجسم للتلقي والاصدار وللتفاعل مع الحوادث سلباً وايجاباً

محمد حسين هيكل المحامي

دكتور في الحقوق

الحياة بعد الموت

ومناجاة الارواح (تابع ما قبلهُ)

قلنا في مقتطف مايو ان السر اوليفر لدج قصد وسيطاً اسمهُ پيترس اكي يوسطهُ في الكلام مع روح ابنهِ وان پيترس هذا لم يكن يعرف مَن هو على قولهِ وكان ذلك في ٢٩ اكتوبر سنة ١٩١٥ مع ان لادي لدج استخدمت هذا الوسيط نفسهُ في ٢٧ سبتمبر اي قبل ذلك باكثر من شهر . وهاك خلاصة ما ورد في كتاب السر اوليفر لدج عن هذه الجلسة

دعت مسز كنيدي لادي لدج ان تجرب وسيطاً يختلف عن الوسطاء الذين استنبأتهم قبلاً واتفقت مع رجل اسمهُ پيترس على ان يأتي بيتها ويغيب فيهِ لاجل صديقة لها لم تعينها لهُ . فاتى في الساعة الثالثة بعد الظهر من يوم الاثنين في ٢٧ سبتمبر سنة ١٩١٥ وذهبتْ لادي لدج وحدها الى بيت مسز كنَدي قُبيْل ذلك وانتظرت مجيئهُ ولما جاء لم تعرِّفهُ مسز كندي بها . ولهُ مرشد اسمهُ مونستون كما تقدَّم ولم يكن هناك احد غيرهُ الاَّ مسز كنَدي ولادي لدج فاخذت مسز كنَدي قلماً وقرطاساً وجعلت تكتب ما يقولهُ في غيبوبتهِ . ويعتقد السر اوليفر لدج ان هذه الجلسة مهمة جدًّا لان الوسيط لم يكن يعرف غرَض لادي لدج ولا اسمها . فان كان كما قال وكانت مسز كندي لم تتواطأ معهُ على غشها فالامر في حد الغرابة الاَّ اذا غشاها عن غير قصد

قال السر اوليفر ولما جلس بيترس اعتراهُ الذهول حالاً وتجلَّى لهُ مونستون مرشدهُ وذكَّر مسز كنندي بما انبأَها بهِ قبلاً عن معركة كبيرة تتم في دفنسك بروسيا كانها معركة فاصلة ثم التفت الى لادي لدج وقال

« ما انفع السيرة التي سرتِها ولا تزالين تسيرينها فقد كنتِ دائماً معيناً قويّاً. عاشرتِ كثيرين وانت ام الاولاد ودعامة البيت. ولكِ المام بمناجاة الارواح وقد اتصلتِ بها منذ زمنٍ. ارى انكِ ساكنة في غير لندن الى الشمال والشمال الغربي. تقابلين الرجال وانتِ والدة وليس في اللغة كلمة تعبر عن مرادي فانهُ لا يكفي ان يكون للبيت اربعة جدران بل لا بدَّ لهُ من شيءٍ آخر فانتِ عماد البيت. لقد أُصبتِ حديثاً برزيئة كبيرة بوفاة جاءَت فجأَة. ولم تكوني تتوقعين حدوث ما حدث

« هنا رجل من العالم الآخر ذهب من عالمكم بغتةً ربعة بين الرجال عريض الاكتاف اسيل الخد اقنى الانف غليظ الشفتين متسق الاسنان فَكِه الحديث ضحوك محبٌّ مضى الى عالم الارواح مسرعاً ولم يكن الموت ليخطر لهُ ببال لانهُ لم يمرض اتعرفين ماعلاقة الحرف L بهِ. ان ما ساقولهُ الآن اقولهُ عن لسان بولس فقد قال قُل لامي انهُ ليس هنا L واحدة بل اثنتان. قل لامي فهي تحب الاحاجي

« لا يخطر لهم ان يسهلوا الامر عليكِ فانَّ ما يسهل عليكِ يصعب عليهم

« الرجل جندي ضابط ذهب وقت الحرب

« انتِ امهُ أَليس الامر كذلك وهو لا يناديكِ بقولهِ Ma, او Mama او Mater بل Mother, Mother

« هو سكوت ولكنهُ اخبركِ بامور كثيرة جدًّا وانتِ امهُ وصديقتهُ ايضاً

« الم يكن كثير المطالعة اراهُ يضحك ويقول نعم كنتُ كذلك لانني ربيت معهم ولكنهُ لم يقصر اجتهادهُ على المطالعة

« كان يعرف شيئاً عن مناجاة الارواح قبلما مضى لكنهُ لم يكن كثير الثقة بها ولا كثير الاكتراث لها وقد طلب مني ان اقول لكِ ذلك

« ان موقف المستر ستد واضرابهِ حوَّل افكارهُ. فمن الجهة الواحدة كان يرى تطرُّفاً في تصديق كل ما يقال ومن الجهة الاخرى ازدراءً بما يقال لما فيهِ من السخائف

« امسكَ بيدهِ قبضةً من الزيتون رمزاً اليكِ وضحك ثم قال ان لكلمة رولند علاقة

بالزيتون (١) وهذه علامة لكِ لتعلمي انهُ هو نفسهُ المتكلم

« قبلما اتيتِ كنت في غم شديد . هل مرض ثلاثة اسابيع بعد ما أُصيب . اني ارى الرقم ثلاثة تكرَّر مراراً ولا اعلم ماذا يراد بهِ

فقالت لادي لدج لعلهُ اراد الاورطة الثالثة (٢)

فقال « نعم ثم نُقل الى غيرها . وطلب ان تخبري اباهُ بذلك كلهِ ولا تنسي . للبيت الذي ربي فيهِ علاقة كبيرة بالكتب ففيهِ نقرأُ وفيهِ تؤلف . رويداً رويداً . ذكر كلمة لم افهمها جيداً بلى نُسَخ نُسَخ . وهوذا رسالة الى ابيهِ يقول لهُ فيها لا تاتِ الى هنا لمقابلة الوسيط لانهُ يخاف منك فلا نعلم منهُ شيئاً ولكنهُ لا يخاف منكِ فاذا اراد هذا الرجل ان يخبركِ بشيء فهو ينقل الخبر اليك . عندكم صور لهُ وقبلما ذهب الى الحرب تصوَّر صورتين او ثلاثاً صورتين وحدهُ وصورة مع جماعة (جاء الكلام على هذه الصورة في مقتطف مايو صفحة ٤١٩)

« لما كان صغيراً كان متعلقاً على لعب كرة القدم ونال جوائز لم تزل في بيتكم (٣) . أُخبرتم بالتلغراف إما باصابتهِ او بموتهِ . لم يمت حالاً . جُرح ثلاثة جروح لا اظن ان لتفاصيل اتتكم حتى الآن . لو طال اجلهُ لاشتهر في العمل الذي انقطع لهُ . أَلم يكن لهُ علاقة بالكيمياء ان لم يكن فقد كان احد اقاربهِ متعلقاً بها لانني أَرى كل شيء كانهُ في معمل كيماوي (٤) وهو رجل لا يزال في الجسد ويتصل بهِ رجل آخر شاعر وهو هنا ولهُ بهِ علاقة روحية وهو ماهر جداً ومن الذين غادروا انكلترا وقد تكلَّم معكم مراراً وهذا الرجل الذي ينظم الشعر اول اسمهِ حرف M وقد ساعد ابنكِ ان لم يكن ابنكِ قد عرف هذا الرجل فقد عرف عنهُ . ووراء هذا الرجل الشاعر جمهور كبير ولا تعجبي اذا جاءتكِ رسائل منهم ولو كنتِ لا تعرفينهم وما يأتي امر ضروري ولذلك سأَتكلم متمهلاً حتى تسهل كتابة كل كلمة أَقولها

---

(١) المقتطف كلمة زيتون بالانكليزية اولف Olive واسم اوليفر مركب منها ورولند اسم عائلة اخرى اقترن واحد منها حديثاً بابنة اوليفر لدج

(٢) كان في الاورطة الثالثة وهو يتمرَّن ثم نقل الى الثانية لما ذهب الى ميدان القتال

(٣) قال السر اوليفر لدج « ان ذلك غير صحيح » . واكثر شبان الانكليز مولع بلعب كرة القدم وينال بعضهم الجوائز فذكر الوسيط ما رجح وقوعهُ

(٤) السر اوليفر لدج مشهور بانهُ من كبار علماء الطبيعة والكيمياء بين وقلَّ من لا يعرف ذلك من الانكليز

« ان الحاجز رقيق جدًّا حتى يُسمع ما يقال وراءهُ وليس ذلك فقط بل قد ثغر ثغرةً واسعة »

هذه رسالة للرجل المشتغل في المعمل الكيماوي

« والفتى (وانا اسميهم كلهم فتياناً لانهُ مضى عليَّ هنا اكثر من مئة سنة فكلهم فتيان بالنسبة اليَّ) يقول « كان الامر قبلاً متعلقاً بالراس اما الآن فصار متعلقاً بالقلب وزد على ذلك (وهنا نهض بيترس بغتةً وعض اصبعهُ وصاح قائلاً « بالله الآن صار ابي اقدر مما كان على المجاهرة بما يريد لان الامر يمس القلوب »

فقالت لادي لدج أيريد ان يجاهر أبوهُ بهذا الامر

فقال « نعم ولكن ليس الآن وستأتيكم بينات يستحيل نقضها . واسمهُ كافٍ لنفي كل هذه المقاومات السخيفة

« لم اتألم كثيراً ولقد رتَّبت كل اموري قبل ذهابي (١)

« ألهُ اخت عندكم واخت هنا . اختهُ هذه كانت طفلة حتى لا تُحسَب معهُ

« لهُ اختان واحدة على كل جانب واحدة في الظلمة وواحدة في النور (٢)

« ابنتك واقفة على احد جانبيهِ وبولس على الجانب الآخر وهو بينهما وقد انحنى وقبَّلكِ هنا (وأشار إلى جبينهِ)

« قبلما سافر عاد الى البيت هنيهة . ألم يأتِ ويقم ثلاثة ايام »

ثم جعل يصف ثلاثة بيوت سكناها البيت الذي نحن فيهِ الآن والبيت الذي كنا فيهِ في لفربول وبيتاً ثالثاً سماهُ بيت امهِ ولكن الكلام كان مشوشا إما لان لادي لدج لم تفهمهُ جيداً او لان الكاتبة لم تستطع تتبع المتكلم . ثم استطرد الى امور طفيفة لا شأن لها . انتهى

التكلم بواسطة المائدة

يضع الوسطاء والذين يناجون الارواح بواسطتهم ايديهم على مائدة صغيرة ويتفقون على ان تحرك المائدة احدى ارجلها اذا ارادت ان تقول كلمة نعم ورجلاً اخرى او اكثر اذا ارادت ان تقول كلمة لا . وعلى انهم يتلون عليها حروف الهجاء حرفاً حرفاً فتحرك احدى ارجلها عند تلاوة كل حرف ما عدا الحرف المراد ثم يجمعون هذه الحروف المرادة فيكون منها الكلام الذي تريد المائدة ان تقولهُ . ولا يدعي السر اوليفر لدج ان المائدة تحرك ارجلها

---

(١) قال السر اوليفر لدج ان ابنهُ كتب وصيتهُ ورتب كل امورهِ قبلما ذهب الى الحرب

(٢) قال السر اوليفر انهُ ولد لهُ ابنة قبل ريمند اسمها ثيولت ولم تزل حية وولد لهُ ابنة اخرى بعد ريمند وماتت بعد ولادتها ببضعة اشهر وهو اصغر ابنائهِ والابن الوحيد لهُ الذي ولد بين ابنتين

من تلقاء نفسها ولا ان الروح تحركها بل ان يد الوسيط او يد احد الحضور تحركها والفرق بيننا وبينهُ في تعليل حركة المائدة انهُ هو يعتقد ان روح الميت تحركها بواسطة يد الوسيط او يد احد الحضور لانها قد تنبئ باشياء لا يعرفها الوسيط ولا الحضور ونحن نقول ان الوسيط او الحضور يحركونها اما افتعالاً بارادتهم اذا كانوا خادعين او اعتباطاً على غير ارادتهم كما يفعل بعض الذين يمشون وهم نيام وكما يفعل المصابون بالبحران والذين يستهوَوْن · وتبقى مسألة انباء المرء بما لا يعلمهُ ونحن نعلل هذا الانباء اما بانهُ يعلمهُ ويدعي انهُ لا يعلمهُ خداعاً منهُ واما انهُ مرَّ بهِ فعلمهُ ونسيهُ ثم يذكرهُ وهو في حالة الذهول اي انهُ علمهُ بعقلهِ الباطن ولم يدرك انهُ علمهُ ثم يذكرهُ وهو في حالة الذهول لان قوى العقل الظاهر تذهل حينئذٍ وتتنبَّه قوى العقل الباطن · وقد شرحنا ذلك غير مرة وسنعود الى شرحهِ بالاسهاب في فرصة اخرى · واذ قد تمهَّد ذلك نذكر خلاصة ما كتبهُ السر اوليفر لدج عن بعض الجلسات التي جلسها هو واهل بيتهِ وكلموا فيها روح ابنهِ بواسطة المائدة

جلس السر اوليفر لدج وزوجتهُ حول مائدة في ٢٨ سبتمبر سنة ١٩١٥ في بيت مسز ليونارد وكان الدكتور كَنَدي حاضراً يكتب الحروف التي يقال ان المائدة دلت عليها وكانت المائدة صغيرة من العيدان سطحها مربع طول كل ضلع من اضلاعهِ قدم ونصف قدم وقد جلس حولها السر اوليفر لدج ولادي لدج متقابلين وجلست مسز كَنَدي الوسيطة ومسز ليونارد متقابلتين وهاك الحديث الذي جرى حينئذٍ

الوسيطة — تخاطب الروح المرشد لها « اضرب ثلاث ضربات للدلالة على انك فهمت

فضربت المائدة ثلاث ضربات برجلها

الوسيطة — اتريد ان تذكر اسمك

فضربت المائدة ثلاث ضربات وهي كلمة نعم

الوسيطة — احسنت فاذاً نتلو حروف الهجاء

فتلتها مسز ليونارد وكانت المائدة تتحرك عند تلاوة كل حرف ووقفت اولاً عند الحرف P ثم عند الحرف A ثم عند الحرف U ثم عند الحرف L فاسم المرشد Paul اي بولس ابن مسز كندي المذكورة قصتها في مقتطف مايو

السر اوليفر — احسنت يا بولس نحن نعرف مَن انت · وانت تعرف مَن نحن ونعرف ايضاً انك اتيت بريمند لكي تساعدهُ

المائدة — نعم

لدج — نحن الذين هنا نعلم ذلك وقد اقمتَ لنا البيّنات الكافية ولكنني جئت الآن لتأتيني ببينات تقنع اهل بيتي

المائدة — نعم

لدج — اتريد ان تقول شيئاً قبل ان اسألك سؤالاً

سكوت

ثم اهتزت المائدة اهتزازاً مفهومهُ انها تريد ان تتلى عليها حروف الهجاء فتليت مراراً وكتب الدكتور كندي الحروف التي وقفت عندها فاذا مجموعها ما ترجمتهُ « ريمند يريد ان يأتي بنفسهِ » . وحينئذ صرخت لادي لدج قائلة يا حبيبي ريمند وتنهدت على غير ارادتها فقالت المائدة لا تتنهدي اي وقفت عند حروف الهجاء التي مجموعها لا تتنهدي وعُلم من ذلك ان روح ريمند هي التي صارت ترشد الوسيطة في تحريكها للمائدة

لادي لدج — أَتنهدتُ

لدج — نعم ويجب ان لا تبدي شيئاً من دلائل الحزن لانهُ لا يريد ذلك لاسيما وانهُ على غاية ما يرام وانا مسرور لان لنا ولداً هناك

المائدة — نعم

لدج — اطمأَن بال امك يا ريمند الآن

المائدة — نعم

لدج — أأشرع اذاً في السؤال

المائدة — نعم

لدج — انتبه واجبني على مهلك ماذا كان الاولاد يسمونك

المائدة — Pap (1) ثم اهتزت كأَنها شعرت بخطإٍ في قولها

لدج — لا مانع جرّب ثانيةً

فوقفت المائدة عند الحروف Pap ولكنها اهتزت اهتزاز الريب . وتليت الحروف عليها فوقفت عند الحروف Pas

لادي لدج — اعطيتنا حرفين صحيحين يا حبيبي فاجتهد واعطنا الحرف الثالث صحيحاً وتليت الحروف فوقفت المائدة عند الحرف t

---

(1) هذه الكلمة تطلق غالباً في البيوت الانكليزية على الولد الاصغر كأَن الوسيطة كانت تعلم انهُ الولد الاصغر فحركت المائدة كذلك ولكن امهُ كانت تعلم انهُ كان يسمى باسم آخر فانكرت حركة المائدة

لادي لدج — نعم أصبت

(وقال السر اوليفر لدج ان هذا هو الصواب وهو وزوجتهُ يعرفانهِ ولكن الوسيطة لا تعرفهُ وفاتهُ ان الذي اوقف المائدة عند حرف t هو يدهُ او يد زوجتهِ لا يد الوسيطة)

لدج — احسنت أأسألك سوءالاً آخر

المائدة — نعم

لدج — اتذكر اسم اخ من اخوتك

وتليت حروف الهجاء فوقفت عند الحروف Norma

فظن السر اوليفر ان الحرفين r و m خطأ فقال مخاطباً روح ابنهِ لقد التبس الامر عليك فاذكر الحروف مرةً اخرى

فاعيدت تلاوة الحروف فوقفت المائدة عند الحروف Noel

فقال لدج — « اصبت » ثم اشارت المائدة الى انها تريد ان تتلى الحروف عليها فتليت ووقفت عند حروف ظن الدكتور كندي ان معناها اسرعوا في السوءال

لدج — اذا تريد ان نسألك ايضاً فاذكر لنا اسم ضابط من الضباط

فوقفت المائدة عند حروف Mip ثم اشارت الى ان ذلك خطأ وقال السر اوليفر ان الحرف الاخير ليس p فوقفت المائدة ثانية عند حروف Michell

لدج — فاسم الضابط اذاً متشل

المائدة — نعم

لدج — أكان في رتبة كبتن

فلم تتحرك المائدة — فقال — أكان في رتبة ملازم ثانٍ فترددت في الجواب بين السلب والايجاب

لدج — مرادي الآن ان اذكر اسماً ولي من ذكرهِ غرض . اتذكر اسم كاس Case

المائدة — نعم

لدج — اتريد ان تخبرنا شيئاً عنهُ

المائدة — نعم

لدج — اذاً نتلو حروف الهجاء . فتليت واذا معنى العبارة التي وقفت المائدة عند حرفها « ان امورهُ ماشية على ما يرام » ثم قالت هو ههنا

لدج — أهو عندكم

المائدة — كلاَّ . هو هنا تكلموا

وقالت مسز كندي ان المراد ان ريمند هنا و يطلب منكم ان تتكلموا

لدج — كيف رأَيتهُ آخر مرة المائدة — نعم

لدج — اتريد ان تقول شيئاً خاصاً او هل ابلغت كاس امراً خاصًّا المائدة — نعم

لدج — وما هو

فارتبكت حركات المائدة وذكرت الفاظاً لا معنى لها . وقال لدج انهُ يظهر لي كأَن ريمند نسي ما قالهُ لكاس وهو يبحث دماغهُ الآن ليتذكرهُ ولذلك ندمت على الدخول معهُ في هذا الموضوع فساقوده الى موضوع آخر يسرهُ الخوض فيهِ ثم قال اتريد ان تذهب امك وترى احد اصدقائك

وعلى اثر ذلك ذكرت المائدة اسماء كثيرة ولكن السر اوليفر لم يشأ ان يتكلم عنها لان الحضور كانوا يعرفونها فقال لابنهِ اترغب يا ريمند في فورد (نوع من الاتوموبيل)

فقالت المائدة — نعم بعد ما توقَّفت مدة كأَنها لم تدرك المراد

لدج — ألم تتعب المائدة — كلا (بصوت عالٍ اي تحركت حركة عنيفة)

لادي لدج — انا لا اعرف متشل يا ريمند المائدة — لا

لدج — اذاً هذا بيّنة كبيرة المائدة — نعم

لدج — اهذا هو سبب اختيارك لهُ المائدة — نعم Arr

الوسيطة — كلا هذا لا يحتمل ان يكون صحيحاً

لدج — قد يحتمل ان يكون صحيحاً فدعيهِ يتكلم

المائدة — oplane (صارت الكلمة اروبلان اي طيارة)

فلم تفهم لادي لدج المراد وقالت انهُ اخذ يمزح على جاري عادتهِ ثم قالت هل ترانا يا ريمند

المائدة — نعم

لادي لدج — ارأَيت انني اكتب لك المائدة — نعم

لاي لدج — اتستطيع ان تقرأ ما كتبتهُ لك المائدة — نعم

لادي لدج — كيف تقرأهُ . اتقرأهُ بالتطلع من فوق كتفي

فطلبت المائدة ان تتلى عليها حروف الهجاء ووقفت عند حروف معنى مجموعها انني اشعر بهِ شعوراً

لادي لدج — اتستطيع ان تكتب بواسطة يدي يوماً ما سكوت

لادي لدج — على كل حال لا مانع لديك من ان اجرّب   المائدة — نعم

لدج — أأنت مشغول جدًّا هناك   المائدة — نعم

لدج — اني عازم ان اسألك عن شخص آخر   المائدة — كلا

لدج — ألا تريد . لا بأس اني اسألك سؤالاً آخر هل لقيت احداً من اصدقائي الاخصاء   المائدة — نعم

لدج — اذكر حروف اسمهِ   المائدة — ميرس وغرا

فظن لدج ان المائدة اخطأت وقال هل مرادك وغرني

المائدة — Grand father (جدي) اي جد ريمند

لدج — اتعني جدك اذاً   المائدة — نعم

لادي لدج — أهو مع ميرس وغرني   المائدة — كلا

لادي لدج — اي جدَّيك تعني اذكر الحرف الاول من اسمهِ   المائدة — W

لادي لدج . يا حبيبي يا أبي — لا بدَّ من انهُ يأتيك و يساعدك

لدج — اتفضِّل التكلم بواسطة المائدة على التكلم بواسطة فدى   المائدة — نعم

لدج — اتتذكر الجلسة مع امك امس   المائدة — نعم

لادي لدج — اتتذكر كلمة اوليفز Olives   المائدة — نعم

لادي لدج — ماذا تعني بها   المائدة — اوليفر Oliver

لادي لدج — فهمنا الآن ان واحداً من بيت رولند يقترن بواحدة من بيت اوليفر   المائدة — نعم

لدج — اذاً لم تشر الى ايطاليا   المائدة — كلاَّ

لدج — ولكنك تحب ايطاليا   المائدة — نعم

لدج — اتتذكر احداً في ايطاليا بنوع خاص فاذكر اسمهُ   فذكر اسماً صحيحاً

لدج — اشرح لنا كيف تخاطبنا بواسطة المائدة

قال لدج جعلت المائدة تتحرَّك والحروف التي تقف عندها تجمع ولكنها كانت كثيرة فلم يستطع الجلوس ان يتتبعوها كلها ولكنهم تتبعوا ما ترجمتهُ « انتم كلكم تعطون المغنطيسية للوسيط فتذهب الى المائدة ونحن نستخدمها »

لدج — اني لا احسب ذلك مغنطيسية ولكن يظهر انهُ لا مانع عندك من اطلاق هذا اللفظ عليهِ على ما يظهر   المائدة — كلاَّ

لدج — ان ام بولس تريد ان تتكلم انت بواسطتها حينما تشاء وهي تنقل كلامك الينا فاذا اردت ان تخبرنا شيئاً فكلم بولس وهو يكلمها المائدة — نعم

وسئل عن اسمي اختيهِ فذكر اسميهما ولكنهُ ذكر اسم احداهما هكذا Rosalind وبيت لدج يكتبونهُ Rosalynd كأن الوسيطة تعرف لفظ الاسم ولا تعرف تهجئتهُ وهذا وحدهُ يكفي للدلالة على ان المحرك لم يكن روح ريمند بل ارادة الوسيطة نفسها لكن السر اوليفر لدج لم ينتبه لمفاد ذلك

لادي لدج — اتقدر ان تراني يا ريمند ولو لم اكن مع الوسيطة المائدة — احياناً

لادي لدج — اظنك تعني انك تراني حينما افتكر بك المائدة — نعم

لادي لدج — اذاً تراني كثيراً لانك لا تبرح من بالي المائدة — نعم بصوت عالٍ

لدج — قل لميرس وغرني اني مسرور بما سمعتهُ عنهما وبانهما يساعدانك

المائدة — نعم

لادي لدج — قدّم شكري الجزيل لغرني لاجل الرسالة التي وصلتني منهُ منذ مدة

المائدة — نعم

لدج — حسبُك وقد صار عليك ان تستريح المائدة — نعم

لادي لدج — نَمْ نومة من نوماتك المشهورة المائدة — نعم (بصوت عالٍ)

وعلّق السر اوليفر لدج على هذه الجلسة كلاماً يتعلق باسم متشل والارو بلان وقال انهُ لم يكن يعلم من هو متشل هذا ولا كان احد من الجلوس يعرف من هو. وبعد البحث والتحري لم في ١٠ اكتوبر من حافظ مكتبة لندن ان في فرقة الطيران رجلاً برتبة ملازم ثانٍ اسمهُ متشل فكتب السر اوليفر اليهِ فاتاهُ جواب منهُ في ٦ نوفمبر يقول فيهِ «اظنني لقيت ابنك مرةً ولكنني نسيت اين لقيتهُ وقد كادت جروحي تشفى وأُعدت الى انكلترا برتبة كبتن وقد تأخر كتابك عن الوصول اليَّ لانهُ ارسل الى فرنسا اولاً الخ»

نقول فان كانت روح ريمند قد ارادت متشل هذا حقيقةً ولم يكن احد من الحضور حول المائدة يعلم مَن هو فذكر اسمهِ مما يعسر تعليلهُ بالامور المعروفة. ولكن لا دليل على انهُ هو المراد ولا دليل على انهُ لم يكن احد من الحضور يعلم هذا الاسم. ولا نرى ما هي الحكمة من ذكر اسم رجل لا يعرف ريمند ولا يكاد يتذكر انهُ رآهُ في حياتهِ. ولا شبهة ان ريمند تعرَّف بكثيرين من الذين لا يعرفهم الجلوس حول المائدة فلماذا اختار هذا الرجل دون سواهُ. وسنقتطف من جلسات اخرى ما ظاهرهُ ادلُّ على تأييد السر اوليفر لدج مما تقدم

خطبتان نفيستان

للمستر لويد جورج رئيس الوزارة الانكليزية

ولد المستر لويد جورج رئيس الوزارة الانكليزية الحالي في منشستر سنة ١٨٦٣ وكان ابوهُ معلماً وامهُ ابنة قسيس . توفي ابوهُ وهو طفل فكفلهُ خالهُ ورباهُ حتى اذا بلغ الرابعة عشرة أنفق عليهِ لدرس المحاماة . فدرسها ونال شهادتها سنة ١٨٨٤ وانتخب سنة ١٨٩٠ في البرلمان واعيد انتخابهُ سنة ١٨٩٢ وسنة ١٨٩٥ وسنة ١٩٠٠ . واشتهر بدفاعهِ عن حزب ويلس الوطني وعن استقلال كنيستها . واشتهر في البرلمان بجسارتهِ وشدة اندفاعهِ في معارضة المحافظين . وبلغ ذلك منهُ غايتهُ في حرب البوير فعارض المستر تشمبرلن اعظم معارضة ودافع عن البوير بكلام مرّ قارص وجّههُ الى رجال الوزارة فثارت خواطر الجمهور عليهِ حتى انهُ لما حاول الخطابة في برمنهام في انتخاب سنة ١٩٠٠ قاومهُ الحاضرون فاضطر ان يفرَّ منهم ولكن اعيد انتخابهُ في بلدهِ وزادت شهرتهُ في البرلمان التالي بمقاومتهِ لمشروع قانون التعليم

ولما فاز الاحرار في انتخاب سنة ١٩٠٦ وتولى السر هنري كمبل بنرمن رياسة الوزارة جُعل وزيراً للتجارة . وبعد ذلك بسنتين توفي السر هنري وخلفهُ المستر اسكويث فجعلهُ وزيراً للمالية . ومن اشهر آثارهِ في وزارة المالية ادخالهُ مشروع القانون الخاص بمعاشات الشيوخ . على ان اشهرها والذي جعل اسمهُ حديث الانكليز في كل مكان مشروع القانون المسمى بقانون البرلمان . وخلاصتهُ ان المستر لويد جورج بصفة كونهِ وزيراً للمالية اراد سدّ العجز في ميزانية سنة ١٩٠٩ — ١٩١٠ وقدرهُ ١٦ مليون جنيه بضرائب جديدة يقع معظمها على اكتاف الاغنياء . فاقترح زيادة ضرائب الاشربة الروحية والدخان والرخص والاملاك والتركات والايراد زيادة كبيرة وفرض رسوم جديدة كبيرة على اراضي البناء في المدن مما ثمنهُ كبير ورسومهُ صغيرة . فقامت قيامة مجلس النواب على الميزانية الجديدة وكان المستر لويد جورج قد سماها « ميزانية الحرب » ولقبها انصارهُ « ميزانية الشعب » اشارة الى ما فيها من مبدإ تحميل الاغنياء حمل الفقراء . واخيراً وافق مجلس النواب عليها فارسلت الى مجلس الاعيان ليوافق عليها ايضاً حسب العادة وفي تقاليد البرلمان الانكليزي انهُ يجوز لمجلس الاعيان رفض اللوائح المالية اذ شاء ولكن لا يجوز لهُ تنقيحها . ولم يسبق لمجلس الاعيان من قبل ان رفض ميزانية ما ولكنهُ رفض هذه الميزانية باكثرية عظيمة .

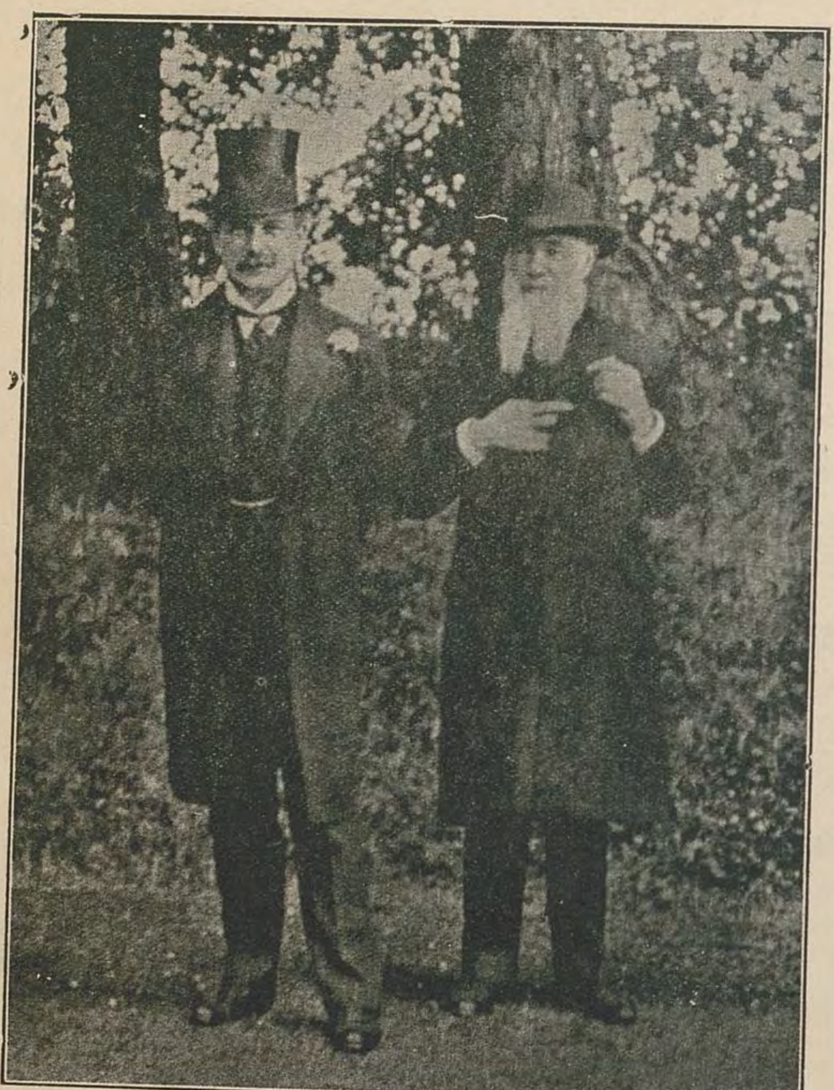

الوزير لويد جورج وخاله

مقتطف يونيو ١٩١٧
امام الصفحة ٥٦٤

فاحتجّت الوزارة على عمله وعرضت الامر على الامة بان فضّت البرلمان واعادت الانتخاب لتقف على رأيها فيهِ ففاز الاحرار بمعونة حزب العمال والحزب الارلندي

وفي خلال هذا النضال توفي الملك ادوارد السابع ورقي الملك جورج الخامس سرير الملك فسنّ الاحرار قانوناً يقضي بانهُ اذا عرض مشروع قانون ماليّ على مجلس الاعيان ثلاث مرات في خلال سنتين يصبح قانوناً بعد موافقة مجلس النواب عليهِ ولو رفضهُ مجلس الاعيان . فبات مجلس الاعيان بذلك مغلول اليدين في الشؤون المالية وهي الغاية التي كان احرار الانكليز يسعون اليها منذ زمان طويل

ومما اشتهر بهِ المستر لويد جورج ايضاً تهديدهُ لالمانيا في مسئلة اغادير المشهورة . فانها ارسلت احد طراداتها الى ميناء اغادير من موانئ المغرب الاقصى على الاتلانتيكي في صيف سنة ١٩١٢ تمهيداً لعمل عدواني تقوم بهِ هناك . فدارت المفاوضات بين فرنسا وانكلترا وروسيا وكانت تسمَّى حينئذٍ دول الاتفاق الوديّ وكانت نتيجتها ان قام المستر لويدجورج خطيباً في لندن وافهم المانيا بصريح اللفظ ان انكلترا تقاوم بالقوة كلّ عداء يبدو منها ضد فرنسا . فاستدعت المانيا طرادها من اغادير وانتهت الحادثة ظاهراً عند ذلك الحدّ وواقع الامر ان المانيا اسرعت من ثمَّ في استعدادها حتى اثارت الحرب الحاضرة

ولما نشبت الحرب كان المستر لويد جورج لا يزال وزيراً للمالية ثم جرى في الوزارة ما جرى من التغيير والتبديل للمرة الاولى فتألفت وزارة من الاحرار والمحافظين وبقيت تحت رآسة المستر اسكويث وبقي اللورد كتشنر وزيراً للحربية . ثم لما استعفى المستر اسكويث جعل المستر لويد جورج رئيساً للوزارة ولا يزال يتولى هذا المنصب الى الآن

اما خالهُ المشار اليهِ فتوفي في آخر فبراير الماضي عن ٨٣ سنة فشهد المستر لويد جورج جنازتهُ هو وقرينتهُ وقبل الجنازة كتبت قرينتهُ كتاباً تعتذر فيهِ عن حضور حفلة كانت وعدت بحضورها وقالت في كتابها هذا مشيرة الى الفقيد «لقد كان لنا خيراً من أب والمستر لويد جورج مديون لهُ بكل ما لديهِ»

الخطبة الاولى

وقد خطب المستر لويد جورج حديثاً خطبتين نفيستين الاولى خطبها يوم ١١ ابريل الماضي في النادي الاميركي المعروف باسم «اميركان لنشن» في لندن على اثر انضمام الولايات المتحدة الاميركية الى الحلفاء في محاربة المانيا وحليفاتها قال فيها :

«اضرم الجيش البروسي في العصر الاخير ثلاث حروب رمى فيها كلها الى تدويخ

البلدان وفتحها وقد اختلب منظر الكتائب العسكرية التي تسير في شوارع مدن بروسيا وميادين الاستعراض فيها عقول البروسيين . ولما رأى الامبراطور هذا المنظر العسكري العظيم في ميادين الاستعراض ثمل منهُ فاخذ يسن الشرائع للعالم كأَن بوتسدام صارت جبل سيناء او كأنهُ ينطق بالوحي من غمامة يقصف منها الرعد

« لا تظنوا ان اوربا كانت جاهلة معنى هذه الامور ومغزاها . وكل ما جهلتهُ منها موعد انقضاض الصاعقة . لقد صبرت اوربا على هذا الخطر والاستبداد خمسين سنة وشل هذا الخطر قوى الدول كلها وغل يدها وكان حقها ان تبذل قواها في ترقية شعوبها واسعاد حالهم . وماذا اقول عن فرنسا . ان الفرنسويين وحدهم يستطيعون ان يصفوا لكم ما تحملوهُ من هذا الاستبداد بصبر وشجاعة ورباطة جأْش حتى حانت ساعة الخلاص وفيها وُجهت جميع قوى فرنسا الدمقراطية الى الدفاع عن نفسها ودرء الخطر الداهم . فهذه ايها السادة الحالة التي تعيَّن علينا ان نتلافاها

« ان من اهم ما ابتكر البروسيون ومن اعظم الامور دلالة على اخلاقهم ما يدعى « خط هندنبرج » فما هو خط هندنبرج هذا ؟ هو خط مرسوم في بلاد السوى كتب عليهِ ان اهل تلك البلاد اذا حاولوا اجتيازهُ يستهدفون للتهلكة . وقد رسم هذا الخط في اوربا منذ خمسين سنة . وبعد ما جرت اوربا على هذه الحال كل هذه المدة استقر قرارها اخيراً على ان يرسم خط هندنبرج على حدود المانيا الشرعية . هذا هو السبيل الوحيد الى تحرير اوربا وسائر انحاء العالم

« واخيراً أُكرهت اميركا على معاناة ما عانتهُ اوربا فأُبلغ الاميركيون انهُ يحظر عليهم عبور الاوقيانس الاتلنتيكي ذهاباً او اياباً واذا فعلوا استهدفوا للهلاك وان بواخرهم تغرق بلا إنذار وان رعاياهم يغرقون بها من غير اعتذار كأَن ذلك حق من حقوق الالمان . ولم تكد اميركا في اول الامر تصدّق ما قيل لها وابت ان تعتقد ان شعباً فيهِ مسكة من العقل يتصرف هذا التصرف فصبر الاميركيون على هذه الحال مرة وسكتوا عليها مرتين ولكن تبين لهم ان الالمان ينوون حقيقة تنفيذ ما يقولون وحينئذٍ عمدت اميركا الى العمل وعملت بحزم وعزم . فان الالمان رسموا خط هندنبرج على سواحل اميركا وقالوا للاميركيين اياكم ان تجاوزوهُ فقالت اميركا « وما هذا ؟ » فاجابت المانيا « هذا خطنا الذي لا يجوز لكم ان تتخطوهُ » فردت اميركا قائلة « ان مكان هذا الخط ليس في الاوقيانس الاتلنتيكي بل على نهر الرين وسنساعدكم على اعادتهِ الى هناك » ثم شرع الاميركيون ينفذون قولهم

« ان لدينا حقيقتين عظيمتين تؤيدان ما يقال من ان هذه الحرب نزاع عظيم لاجل الحرية واولى هاتين الحقيقتين ان اميركا انحازت الى المدافعين عن الحرية وما كانت لتنحاز اليهم لولا ذلك . والحقيقة الثانية هي الثورة الروسية فان فرنسا كانت دولة مطلقة لما ارسلت جنودها في القرن الثامن عشر الى اميركا ليقاتلوا لاجل حرية تلك البلاد واستقلالها ولكن لما وصل الفرنسويون الى اميركا صارت الحرية غرضهم الاكبر وصاروا يتنشقون هواء الحرية وصار الهامهم الحرية فالفوا الحرية وصاروا يستطيبونها وعادوا بها الى اوطانهم فتحررت فرنسا . وهذا ما اصاب روسيا فقد خاضت غمار هذه الحرب العظيمة دفاعاً عن حرية سربيا والجبل الاسود وبلغاريا . حارب الروس دفاعاً عن حرية اوربا فراموا ان يحرروا بلادهم وقد فعلوا

« ان الثورة الروسية ليست نتيجة نزاع لاجل الحرية بل برهان على نزاع عظيم لهذا الغرض . واذا ادرك الشعب الروسي ان حفظ النظام الوطني لا يناقض الحرية الوطنية بل ان هذا النظام ضروري لسلامة الحرية الوطنية وتوطيد اركانها — اذا ادرك الشعب الروسي هذه الحقيقة فانهُ سيصير شعباً حرًّا حقًّا . وجميع الدلائل تدل على انهُ مدركها

« سألت نفسي قائلاً ترى لماذا احرجت المانيا اميركا عمداً في العام الثالث من اعوام الحرب وتحدتها حتى دفعتها الى اعلان الحرب — اقول عمداً واكرر هذا القول

« فقد عللوا ذلك بان المانيا كانت تعتقد ان في البلاد الاميركية عناصر تجعل اضرام الحرب من جانب الولايات المتحدة مستحيلاً وهو تعليل لا يقنعني ولا اصدقهُ . ولكن المرشال هندنبرج وافانا بالجواب في حديث غريب . فقد تبين من هذا الحديث ان المرشال هندنبرج معتمد على احد امرين الاول ان الغواصات ستفتك ببواخر الشعوب فتكاً يشل انكلترا قبل ان تتأهب اميركا حاسباً ان اميركا لا تستطيع التأهب في اقل من سنة فدل بذلك على انهُ يجهل اميركا . والامر الثاني انهُ متى تأهبت اميركا في آخر الحرب فلا يبقى في الدنيا بواخر لنقل جيشها (الى اوربا) وقد قال ان اميركا لا يعتد بها وعنى بذلك ان اميركا لا تملك البواخر اللازمة للعمل وهذا كان حسابهُ

« ولا يجدر بنا ان نعتقد ان هيئة اركان الحرب في الجيش الالماني اذا اخطأت فان خطأها جاء عفواً . فيحسن بالحلفاء والحالة هذه ولا سيما انكلترا واميركا ان يثبتوا الخلل في حساب المرشال هندنبرج هذا كما فعلوا بحسابهِ في خطهِ الشهير الذي خرقناهُ

« ان الطريق الى النصر وضمان النصر والنصر الاكيد تجمع في كلمة واحدة وهي

البواخر· وقد ادرك الاميركيون ذلك بدقة نظرهم وعزموا على انشاء الف باخرة حمولة كل الواحد منها ٣٠٠٠ طن للسفر في الاوقيانس الاتلنتيكي· وعندي ان الالمان ورجال العسكرية فيهم اخذوا يرون الآن وجه الخلل في حسابهم وان هذا الخلل سيؤدي بهم الى البوار والدمار وان الشعب البريطاني شعب بطيءٌ كثير الخطإ ولكنهُ يدرك غرضهُ اما الاميركيون فاسرع منهُ الى ادراك غرضهم · وهذا هو الباعث على سروري بدخول اميركا فقد واصلنا الحرب ثلاث سنوات وكفَّرنا عن كل خطاء وقطعنا شوطاً كبيراً في سبيل النجاح ونحن الآن نسير في السبيل القويم

« وليسمح لي الاميركيون ان اقترح عليهم ان ينعموا النظر في الغلط الذي ارتكبناهُ ويبدأُوا حيث وصلنا الآن لا حيث كنا منذ ثلاث سنوات· ويسرني ان اميركا سترسل بعض رجالها العسكريين والبحريين من ذوي الخبرة الى بريطانيا العظمى لمفاوضة رجالنا الذين خبروا الحرب ومشاقها ومتاعبها في الاعوام الثلاثة الماضية »

وبعد ما جاهر بما لاميركا من الفضل على الحلفاء وتجهيزها اياهم بالمدافع والذخيرة قال « ان اليوم الذي تحدَّت فيهِ بروسيا جمهورية الغرب العظمى الكثيرة الخصب والعظيمة الموارد كان يوماً اسود على استبداد بروسيا العسكري فاننا نعلم ان اميركا ستضرم حرباً عظيمة مقرونة بالنصر وتكفل صلحاً نافعاً · ويسرني ان اميركا ستكتسب حق الجلوس في مؤْتمر الصلح الذي يبت مصير الامم ومستقبل الجنس البشري لعصور لا يعلمها الأ علاَّم الغيوب · ولو امتنعت اميركا عن دخول الحرب لكان امتناعها نكبة على الانسانية

« اني ارى السلم المقبل ولكنهُ لا يكون فاتحة حرب اخرى بل يكون السلم الحقيقي الذي ينشدهُ العالم · ان العالم قديم الوجود ولكنهُ لم يتمتع بنعمة السلم قط بل كان يضطرب ويموج كامواج البحر وقد عاشت اوربا المسكينة كل عمرها تحت السيف المصلت

« لقد نشبت الحرب الحاضرة لان ثلثي اوربا كانا خاضعين للحكم المطلق اما الآن فقد انقلب الحال وصارت الدمقراطية عنوان السلام

« ان دمقراطية فرنسا لم تكن تبغي الحرب ودمقراطية ايطاليا ترددت كثيراً قبل ان خاضت غمارها ودمقراطية بريطانيا العظمى احجمت عنها وارتعشت وما كانت لتدخلها لولا غزو المانيا للبلجيك · فالدمقراطية طلبت السلم وجاهدت في سبيل السلم ولو كانت بروسيا دمقراطية لما وقعت الحرب ولكن هذه الحرب ولَّدت العجائب وستأْتينا بما هو اغرب مما شاهدنا وهو آتٍ قريباً

« وفي التاريخ عصور يسير فيها العالم سيرهُ المقرر لهُ ببطء واتئاد حتى لقد يخيل الى الناس انهُ وقف قروناً برمتها في مكانهِ . وفيهِ عصور يسير فيها بسرعة مدهشة و يقطع في سنة ما يقطعهُ عادة في قرون . فمنذ ستة اسابيع كانت روسيا حكومة مطلقة اما الآن فهي من اشد دمقراطيات العالم مبالغة في الدمقراطية . اننا اليوم نثير اعظم حرب عرفها العالم في فتكها ودمارها وغداً قد تمحى الحرب من جدول الجنايات البشرية وهذا يشبه اشتداد سورة الشتاء في آخر فصلهِ قبل ان يتغلب الصيف عليهِ

« قيل عن الابطال الذين احرزوا النصر وهم من كندا واستراليا وهذه البلاد التي اثبتت انها مع شيخوختها لم تنحط ولم تهرم — قيل عن هؤلاء الابطال انهم حملوا ساعة الفجر ليخرجوا من بقعة مساحتها اربعون ميلاً مربعاً من ارض فرنسا اولئك اللئام الذين دنسوها مدة ثلاثة اعوام . نعم هجم اولئك الابطال عند الفجر . ان في هذا القول لعبرة فان تباشير الفجر لاحت بالقضاء على الحكم التركي الذي ظل بضعة قرون كغمامة حجبت نور الشمس عن أبهى بلدان العالم وبتملُّص روسيا من الاستبداد الذي كُفنت بهِ منذ زمان طويل وبالاعلان العظيم الذي جاهر بهِ الرئيس ولسن ودخول أُمة عظيمة في حرب الحرية — هذه كلها تباشير الفجر

« لقد هجم اولئك الابطال عند الفجر وهم يسيرون الى الامام بنور ذلك الفجر وعما قريب يخرج الفرنسويون والاميركيون والايطاليون والروس نعم والسربيون والبلجيكيون واهل الجبل الاسود والرومانيون — من نور الفجر إلى نور الشمس الساطع » انتهى ملخصاً

الخطبة الثانية

وخطب خطبتهُ الثانية في دار بلدية لندن في اواخر ابريل وذلك في الحفلة التي اقيمت ابتهاجاً بمنحهِ حرية مدينة لندن . وهاك ملخصها :

ان النصر بات مكفولاً لنا والمشكلة الكبرى التي يطلب منا حلها هي مشكلة الغواصات ونحن مصممون على حلها . فان المانيا تنوي ان تحول دون سير البواخر والسفن في البحار و بلوغ هذا الامر ضروري لانتصارنا . اياكم والاستخفاف بخطر هذا الامر فاننا لا نستطيع تلافيهُ الا اذا ادركنا مبلغهُ حق الادراك

لقد اقلقت هذه المشكلة بالنا عامين ونصف عام ولم يدرك الالمان في اول الامر مضاء هذا السلاح الذي بيدهم ولكنهم ادركوهُ بعد ذلك فوجهوا قواهم الى صنع الغواصات .

ولما عقدوا النية على اغراق السفن والبواخر بلا قيد ولا تمييز تيسر لهم ان يزيدوا عدد ما اغرقوهُ منها ولكنهم بعملهم هذا حملوا اميركا على دخول الحرب . وهذه نتيجة لحرب الغواصات تبعثني على اتم الارتياح . فقد ايقنت اميركا في آخر الامر ان من العبث التلويح براية الحياد امام كلاب البحر

ان ابرع الناس واحذقهم في بلدان الحلفاء يشتغلون الآن بحل مشكلة الغواصات وحسبي ان اقول هذا فليس من الحكمة التوسع فيهِ ولكن صدقوني اننا مهتمون اشد اهتمام بحل المشكلة ولم ارَ في حياتي مشكلة بشرية يعجز البشر عن حلها ولست اعتقد ان مشكلة الغواصات تشذ عن هذه القاعدة

مشكلة الطعام

ثم وصف التدابير التي اتخذتها وزارات الحكومة ومصالحها لحل مشكلة الطعام فقال : ان فلاحي انكلترا يزرعون الآن من الاراضي ما يزيد عشرة في المئة عما كانوا يزرعونهُ قبل الحرب وقد ضمنت الحكومة للفلاحين وعمال الزراعة اموراً تختص بالاثمان والاجور واسفر الجهد الشديد الذي بذلناهُ في بضعة الاشهر الماضية عن زيادة المزروع من الاراضي مليون فدان وهي تنتج مليوني طن من الطعام

مدة الحرب

« لا اقول ان الحرب تدوم سنة ١٩١٨ بطولها ولكننا نأبي المجازفة والاعتماد على الصدفة والاتفاق فقد افرطنا في ذلك فيما مضى

« ان الالمان اذا علموا ان ثباتهم الى آخر سنة ١٩١٨ يتيح لهم النصر بتجويعنا فانهم يثبتون ولكنهم يعلمون ايضاً انهُ كلما طال ثباتهم ساء مصيرهم ولهذا فالصلح يعقد قبل ذلك ونحن الآن مهتمون باتخاذ التدابير لموسم ١٩١٨ قبل فوات الاوان وقد اخذنا نعدُّ ثلاثة ملايين فدان اخر للزراعة ومتى تم لنا ذلك فلا يعود في طاقة احد ان يجوعنا ولو انقطعت جميع الواردات عنا

« ولكن هذه الامور لا تتم لنا الاَّ اذا ساعد الجميع . لكم جرايات معينة فحافظوا عليها ولتكن المساعدة عامة في مطبخ المنزل وفي المصنع وفي خنادق الميدان

« ولو اتخذنا هذه التدابير لتوسيع نطاق الزراعة منذ سنة او سنة ونصف لامنَّا كل خطر على طعامنا . ويحتمل اننا لم نكن نجد الكفاية من القمح ولكننا كنا نجد الكفاية من القطاني . والشوفان والشعير من الاطعمة المغذية وقد ربيت عليها

الملاحة والواردات

ثم استطرد الكلام الى الملاحة والواردات فقال : ان ما تم في تخفيض الواردات لم يكن كافياً فقد اقتصدنا في السنة الماضية ما زنتهُ مليون ونصف مليون من الواردات ولكننا اتخذنا الآن تدابير اخرى تخفيض الواردات ستة ملايين طن اخر وسيبلغ مجموع ما نخفضهُ من وارداتنا في آخر الامر اكثر من عشرة ملايين طن في العام من غير ان تضعف صناعة من صناعاتنا الجوهرية

وسنجد حاجتنا من الخشب ونسعى الآن للحصول على معظم المعادن التي نحتاج اليها باستنباطها من مناجم بريطانيا العظمى · ولا يحل شهر اغسطس القادم حتى يزيد مقدار الحديد الذي نستخرجهُ في بلادنا اربعة ملايين طن وسنعدل اتاتين الصهر التي عندنا لهذا الغرض · وليس فيكم من يجهل معنى اقتصاد عشرة ملايين طن في الواردات ولو اقتصدناها منذ سنة لكان لنا في مخازن بلادنا الآن من الفحم ما يكفينا عاماً كاملاً

« ان في كندا ٨٠ مليون بشل من القمح كان في طاقتنا ان نجلبها الى هنا وكان الواجب علينا ان نأتي بها اما الآن فان عشرين مليوناً او ثلاثين مليوناً منها سترسل الى الولايات المتحدة لعدم وجود سوق اخرى لها فعلينا ان نواصل تخفيض الطعام حتى نقف على اسلوب لقتل مكروب الغواصات الذي لوث الاوقيانس

« هذا احد الامور التي يتعين علينا عملها ولكن هنالك اموراً اخرى سواه فقد اخذنا ننشئ البواخر واتخذ وزير الملاحة من التدابير ما يمكننا ان نصنع في سنة ١٩١٧ ثلاثة اضعاف بل اربعة اضعاف البواخر الجديدة التي صنعناها في السنة الماضية وننظم ادارة جميع بواخر البلاد بحيث نجعلها خاضعة لادارة واحدة وسلطة واحدة · وهذه اول مرة حدث فيها هذا الامر · ومعنى ذلك ان بواخر هذه البلاد ستخصص للجوهري الضروري من تجارة هذه البلاد

« ومع ان خسارتنا من البواخر التي تغرقها الغواصات كانت كبيرة حتى الآن ومع ان الخسارة قد تستمر على هذا المنوال فقد نظم وزير الملاحة سير البواخر والسفن تنظيماً يمكنهُ من جعل واردات يوليو القادم اعظم من واردات مارس الماضي

اخلاق الانكليز

« ظن الالمان انهُ قضي علينا ولكنهم جهلوا الجيل الذي يحاربونهُ · فقد اثبت التاريخ ان بلادنا القديمة تعرف كيف تحرز النصر متى شدد الاعداء عليها وسنفوز هذه المرة ايضاً

بالوسائل التي ذكرتها · ان ما اراهُ واعرفهُ من مطالعة تقارير الحكومة اليومية ومن القاء نظرة عامة على الموضوع كلهِ من جميع اطرافهِ يحملني على ان اقول بلا تردد اننا اذا انفذنا بياناتنا وجرينا على خطتنا وادَّى كلٌّ منا الواجب المفروض عليهِ فان حرب الغواصات الالمانية مقضي عليها بالانكسار

« ولكن هذا يقضي على كل فرد من افراد الامَّة ان لا يتعدَّى الجراية المعينة لهُ وعلى الفلاحين والعمال ان يزرعوا الارض وعلى الصناع والعمال في دور الصنعة والمصانع ان يبذلوا مجهودهم في زيادة ما ينشأ من البواخر والسفن فاذا فعلنا هذا كلهُ بالصدق والاخلاص فليطبخ العدو احمض ما عندهُ

« وقد توسعت في البحث في مسأَلة الغواصات هذه لان الجمهور اهتم بها اهتماماً شديداً ولكن الحكومة عاملة على نشر جميع الارقام لانها تريد ان يعلم الشعب انها لا تكتم شيئاً عنهُ · ان بريطانيا العظمى بلاد لا تخرج خير ما فيها حتى تقف على اسوإ الاخبار وهذا الحكم يصدق على كل بلاد في اهلها عزيمة واقدام واخلاق راسخة »

الحرب والسياسة والتجارة

ثم بحث في العبر التي استخرجها الماليون والصناع والجنود والبحارة من الحرب فقال :

« ان هذا الانقلاب العظيم الذي عم العالم غيَّر آراءهم في التجارة وفي صناعاتهم واقول ان مستقبل هذه البلاد يتوقف على مقدار ما تعلَّمهُ ساستها من الحرب · وقد سمعت بعض رجال السياسة يقول انهُ متى وضعت الحرب اوزارها فستعود المياه الى مجاريها السابقة وتعود الحال الى ما كانت عليهِ ويستأنف السير في اعمال الحكومة على الاساليب التي كانت عندنا · ان الذين لا يعرفون رجال السياسة يعتقدون انهم من دعاة الثورة ومن اشد غلاة الثورة بل من اشد دعاة الرجعة في الدنيا

«كان لنا قبل الحرب في هذه البلاد خمسة احزاب سياسية كلٌّ منها مستقل عن الآخر تمام الاستقلال وقد تبين للناس الآن انهُ لم يكن بين تلك الاحزاب حزب واحد انفرد بالحكمة او اوتي كل التعقل والحذق السياسي بل تبين للناس ان الاحزاب الخمسة لم تجمع في صدورها كل الحكمة والدراية وادركوا الآن ان في السماء والارض اموراً لا تدخل ضمن دائرة الفلسفة السياسية التي لكل حزب من هذه الاحزاب الخمسة · هذا احد الامور التي انكشفت لنا بنور لهيب الحرب الهائلة

« متى وضعت الحرب اوزارها فاني ارجو واعتقد وابتهل الى الله ان لا نعود الى ما كنا فيهِ من منازع الاحزاب واساليبها العتيقة وانظمتها التي اكل الدهر عليها وشرب بل نطبّق اعمالنا على خير الاساليب التي اظهرتها لنا الحقائق التي كنا نجهلها اتم الجهل قبل الحرب

« تقدمنا في السن والحكمة الف سنة منذ نشبت الحرب الحالية وازدحم اختبار الرجال في بضعة اعوام فاذا نبذنا الاختبار والحكمة والمعرفة التي تعلمناها في الحرب حرصاً على قواعد وضعناها من عهد عاد لم نكن جديرين بالمصير العظيم الذي اعدتهُ العناية للحال الحاضر

« ليس في عمل الامبراطورية البريطانية السياسي ما يحتاج الى التعديل والتنقيح احتياج خطتنا نحو مجموع الامم والشعوب الذي نعبر عنهُ بلفظة الامبراطورية البريطانية فقد كنا فيما مضى ننظر اليهِ كنظرية مجردة ولكن الحرب اثبتت لنا ان الامبراطورية حقيقة مادية وعامل من اعظم العوامل اليوم في دفاع البشر عن الحرية

معنى الامبراطورية

« أُرسل الى فرنسا في اغسطس ١٩١٤ مئة الف رجل فغيروا اتجاه تيار التاريخ وقدمت المستعمرات والهند مليون رجل فعدل هذا المدد آراءها في حقيقة الامبراطورية البريطانية وفوائدها . ان العالم لا يسعهُ ان تتفرق هذه الامبراطورية ايدي سبا ولكننا مخيرون بين توثيق عرى الارتباط بين اجزائها وتشتيت شملها تشتيتاً نهائيًّا

« ان الامور لا يمكن ان تظل حيث كانت . ورب قائل يقول ان العلاقات المبهمة التي كانت بيننا وبين المستعمرات المستقلة وبلاد الهند العظيمة هي التي ادَّت الى هذا الارتباط الحقيقي . فهذا كلام كان يصح قبل ان بذلت تلك المستعمرات مع الهند البذل العظيم اما الآن فقد اثبتت حقها في الشركة معنا . ستكون قاعدة التعاون بيننا في المستقبل قائمة على مبدإ الشورى الصحيحة فاذا كان قرارنا هذه المرة قد اتعب تلك البلدان وكلفها ملايين من نخبة رجالها كما حدث فعلاً فالواجب يقضي علينا بان نستشيرها قبل الاقدام على العمل وان ننعم النظر في اساليب ادارة الامبراطورية والعلاقات بين اجزائها . نعم ان الحرب قد لا تكون خير الاوقات للبحث في الانظمة الجديدة ولكن يجب ان تكون امبراطوريتنا حقيقة فعلية ومجالسنا مجالس حقيقية وشاهدي على ذلك مجلس وزارة الحرب الامبراطوري فقد اثبت باعمالهِ قيمة هذه الشورى . ان زملاءنا من المستعمرات والهند لم يشتركوا في مؤتمر رسمي ولكنهم اخذوا قسطاً حقيقيًّا من مباحثنا وشؤوننا وقراراتنا وكانوا مصدر قوة عظيمة لنا ومنبع حكمة في مفاوضاتنا

« أتانا هؤلاء المندوبون بآراء جديدة وعقول مستريحة ونظروا الى حرب العالم من مواقف مختلفة . ولا يخفى عليكم ان العقول اذا سارت في سبيل واحد زمناً طويلاً تصدأ وكلما عظمت هذه العقول تراكم صدأها و كثر خطأها وفي هذه الحالة تبدو الحاجة الى عقول جديدة « لانتشال المركبة من الحفر التي نسقط فيها » وقد اتيح لنا هذه العقول فوضعنا قرارات بعيدة الغور ساعدنا في وضعها زملاؤنا من وراء البحار . وقد بحثنا في امور ومشاكل عظيمة الشأن تتعلق بالغواصات والملاحة والطعام وتناقشنا في قرارات عظيمة الشأن في الامور الحربية شاركونا فيها ولكن يتعين علينا ان نفعل اكثر من ذلك . كشفت لنا هذه الحرب قيمة الامبراطورية فيجب ان يكون في مقدمة مهام رجال الدولة والسياسة في المستقبل اتخاذ ما يلزم من التدابير لترقية الموارد العظيمة التي لنا فنجعل هذا الامر قبلة انظارنا وموضوع فخرنا ونتخذهُ قاعدة لامانينا . و يجب علينا ان نرقي البلدان التي تخفق عليها رايتنا . ولو وجهنا عقولنا وقوانا ونفوذنا الى هذا الغرض منذ خمسين سنة لكان عدد سكان المستعمرات المستقلة الآن ضعفي ما هو ولحوَّلنا تيار المهاجرة الى تلك المستعمرات بدلاً من سيرهِ الى بلدان اخرى وحولنا اليها ايضاً جانباً من مهاجري شعوب اوربا المتصفين بالرجولية

« لقد استقر قرارنا على ان تعنى الحكومة البريطانية وحكومات المستعمرات في المستقبل بتوثيق عرى الارتباط بين اجزاء الامبراطورية بالتجارة والاخذ والعطاء والعلاقات العمومية في الاعمال والاشغال

« وقد امعنَّا النظر والبحث في هذه القضية ورأينا ان ترقية تلك المستعمرات الواسعة الاطراف تقضي بتنشيط حاصلات كل جزء من اجزاء الامبراطورية . ومن رأينا ان في حكم الطاقة انشاء نظام من المراعاة والتفضيل لا يقضي بفرض ضرائب على الطعام ونعتقد ان ذلك مستطاع من غير فرض هذه الضرائب اما والطعام قليل وغال الآن فليس الزمان الحالي زمان البحث في زيادة هذا العبء

« ان المراعاة المقصودة تتم من غير فرض رسوم على الطعام فان هناك طرقاً اخرى تؤدي الى هذه الغاية بالجري على الاساليب التي جرت عليها البلدان الاخرى لتحسين المواصلات بين مستعمراتها و بهذا يتاح نقل حاصلات جزء من الامبراطورية الى اسواق جزء آخر بسهولة واقتصاد

« ان في الامبراطورية موارد لا تفنى من الثروة والمعادن والطعام والخشب وسائر ما يحتاج اليهِ البشر فترقية هذه الموارد الى اقصى ما يستطاع مفيد للبلاد التي تنتج الحاصلات

ولسائر انحاء الامبراطورية في جملتها المملكة البريطانية فان هذا يزيد ثروة الامبراطورية كلها ويوثق عرى الاتحاد بينها

مشكلة ارلندا

وتكلم الوزير عن ارلندا فقال : ان الواجب يقضي بجعل هذه الجارة الخطرة المشبعة بالريب والشبهات وسوء الظن والواقفة موقف المعاند صديقة موالية مفعمة بشراً وسروراً هذا اذا شئنا ان تكون امبراطوريتنا قوية وثيقة العرى وسلام العالم وطيد الاركان فان ارلندا هي منبع الخطر الوحيد في افقنا . واذا ناشدتْ الامة البريطانية ان نسوي مشكلة ارلندا فانا افعل ذلك بما اطلع عليهِ من الحقائق كل ساعة وهو ان الجميع في اميركا واستراليا وسواهما يعتقدون ان تسويتها من اركان النصر المعجل فانا اناشد كل ذي وطنية صادقة ان يغضي عن كل شيء رغبة في حل هذه المشكلة

ولاء الهند

« ويجب علينا ان نوحِّد جميع قوانا لكسر شر عدو قاتلناهُ . وقد كانت الهند منبع اعظم خيبة لآمال المانيا في هذه الحرب مع كثرة الخيبات التي خابتها فيها فقد كان الالمان يتوقعون في الهند الفتن والخيانة والاستياء وعدم الولاء ويعتقدون ان قوة بريطانيا العظمى ستستغرَق في قمع هذه الامور في الهند . فماذا وقع حقيقة ؟ ابدت الهند حماسة شديدة وولاء عظيماً وبذلت العون للامبراطورية فحق لها ان تطلب الأ يشعر عشرات الملايين التي تقطن فيها انهم جيل محكوم بالامبراطورية بل انهم احد الشركاء فيها فجميع هذه الامور تقتضي ان تكون سياستنا سياسة حزم واقدام

« ان الاحجام والتردد والوهن صفات ممقوتة في السلم ولكنها قتالة في الحرب وقد قابلت بريطانيا العظمى مشكلة الحرب بشجاعة عجيبة فلتقابل مشاكل السلم بمثل هذه الشجاعة

« اني اشكر محافظ لندن ومجلس هذه المدينة العظيمة على الشرف الذي اولوني اياهُ وليس على ذلك فقط بل على ما أُتيح لي من تشديد عزيمتي برؤيتي رجالاً تقاتلوا فيما مضى وهم يعملون الآن معاً لاعظم الغايات واسماها . فعسى هذا التعاون ان يدوم لا في احراز النصر فقط بل بعد ما تلتئم جروح الحرب في ترميم الخراب الذي احدثتهُ وجني ثمار النصر المجيد »

وقال بعد المأدبة ما نصهُ : لا اريد ان يفهم السامعون انهُ لم يبقَ علينا ما نعمل لان الامور صارت على ما يرام فان هذا احد المصاعب الحقيقية التي نعانيها اذ المبالغة

تولد الذعر ولكن اذا ذكرنا الحقيقة مجردة من كل شيء وقلنا اننا سنخرج فائزين ببذل الهمة والنشاط فقد يقول الواحد « ليبذل غيري اما انا فاني اشترك في الخروج بالفوز » . ان الفوز مضمون اذا قام كلٌّ منا رجالاً ونساء بنصيبهِ . لقد نكَّبنا عن طرق السياسة المألوفة في ابَّان الحرب لان الحرب العظيمة كالمرض الشديد اذا أُصيب بهِ الواحد تخلى عن جميع اعمالهِ العادية فعلينا ان نوحِّد قوانا لقتال العدو الهائل الذي يطعننا في صدورنا . وقد تبين لي بالاختبار في اثناء رياستي للوزارة منذ خمسة اشهر ان الحكومة لقيت المعونة من افراد من جميع الاحزاب . ان الافراد الذين يقدمون في اعتبارهم انتصار الاحزاب على الانتصار في الحرب قليلون ولكن المرء قد لا ينسى وجود الاحزاب . ولا احاول تطبيق هذه النظرية الآن وحسبي ان اقول للذين يعتقدون ان الشعور بوجود الاحزاب قد زال وان في طاقتهم ان يسيروا بسفينة السياسة في بحر امين انهم اذا فتحوا عيونهم ابصروا هنا موجاً خفيفاً ورأوا هناك بعض الصخور وسنسعى لاجتناب هذه المواضع اما اذا تبين لنا انها ستعرقل سير سفينة الامة فاعلموا ان في هذه البلاد من المتفجرات الفكرية ما يكفي لنسفها والسير بالسفينة الى بر الامان

« وما ننس لا ننس أيام الذعر المالي في بدء الحرب ولكن الثقة المالية التي لبريطانيا العظمى فازت وتغلبت مع كل ما تنبأ بهِ المتنبئون مما يناقض ذلك »

وأشار الى الجيش الانكليزي الاصلي فقال : « واني لا ازال اذكر الايام السود لما كان ابطالنا مرابطين في خنادقهم المدمرة يتحملون في الليل والنهار هزءَ الالمان وتخريبهم . ان ثبات المشاة البريطانيين امام مدافع نبوليون في احدى معارك ذلك الزمان من أعظم الفعال الخالدة في تاريخ الحروب ولكن سلالة اولئك الجنود ثبتوا امام مدافع أعظم من مدافع نبوليون نهاراً وليلاً أسابيع وأشهراً فلم ينكصوا . وهذه أعظم رواية وردت في تاريخ العالم ان اولئك الابطال لم ينكسروا ولا يستطيع امرؤٌ ان يتحقق ما فعلوهُ الاَّ اذا سمع اقوالهم . ان قصتهم خالدة ونحن مدينون لذلك الرجل القصير القامة الشجاع الذي كان يقودهم في تلك الاشهر السود من غير ان يتولاهُ الخوف والوجل واعني بهِ اللورد فرنش . ولما توليت تنظيم موارد انكلترا فعلت ذلك لامكِّن اولئك الابطال من الحرب واني أحمد الله على ما تم فقد أُتيح لهم الفرصة للحرب بهمة أَصحاب المصانع والعمال . ولا انسى النساء فقد تقاطرن بمئات الالوف الى المصانع وكن يسألن عما يستطعن القيام بهِ لمساعدة اخوتهنَّ الابطال في ميادين القتال . وقد فعلت كل منهنَّ ما في طاقتها فانقلب الامر وتغيرت الحال في تلك الميادين الآن »

مصر منذ اربعمائة سنة

(٥)

المهرجان

قلنا ان اسماعيل باشا عزم ان يصنع مهرجاناً عظيماً لختان ابنهِ ابرهيم بك وكان ذلك في شهر نوفمبر سنة ١٦٩٥ وانهُ دعا اليهِ جميع حكام البلاد وعظمائها وامرائها وعلمائها واعلن الاهالي عموماً انهُ يسمح لهم بالاشتراك في هذا الاحتفال مدة عشرة ايام متوالية. وهاك وصف هذا الاحتفال نقلاً عن القنصل دي ماليت قال:

سمح لمئة غلام من ابناء العظماء والعلماء والامراء ان يتطهروا مع ابن الباشا في حفلة الختان. فاقبل الوف من الناس من مصر والريف والصعيد لمشاهدة هذا المهرجان ونصبت المضارب والسرادقات الكبيرة في ساحة الميدان الخارجية والساحة الداخلية واقيمت الزينات البديعة والملاعب والملاهي المختلفة. واشتغل مئات من العمال باقامة معدات الاحتفال مدة شهر كامل. بدأ الاحتفال بسباق الخيل والجمال ولعب السيف و «الحَكَم» والمصارعات المختلفة وقتال الديكة والثيران مدة ثلاثة ايام في ميدان القلعة الخارجي. واحضر الباشا من دمشق الشام مصارعاً شهيراً يقاتل الثور ويصرعهُ. واحضر كثيرين من الراقصين والبهلوانية الذين يمشون ويرقصون على الحبال في الهواء وبينهم بهلوان شهير نصب لهُ حبل طويل من رأس منارة جامع القلعة الى عمود عالٍ نصب في ساحة الميدان الخارجي وطول الحبل نحو اربعمائة ذراع اسند بحبال متعارضة ليكون متيناً. فصعد هذا الرجل الى الحبل من وسط الميدان ومشى عليهِ حتى وصل الى اعلى المنارة على دهشة ورهبة من الناس وكان الباشا وابنهُ مع عظماء البلاد حاضرين هذا المشهد فاجاز اللاعب بجائزة كبيرة

وفي اليوم الثاني ٢٣ نوفمبر اقبل الباشا مع ابنهِ الى الميدان وكان حولهما الاربعة والعشرون اميراً وهم البكاوات الكبار حكام المقاطعات المصرية الاربع والعشرين وكذلك وكلاء المديريات المعروفون بالبكاوات الصغار وعددهم ثمانية واربعون واقبل قواد الجيوش وكبار الاغوات ورؤساء فرق الجنود السبعة يتقدمهم اغاوات الانكشارية والمتفرقة والعزبية. واغاوات اسطنبول ورتبتهم هنا اعظم من رتبة الامراء. واقبل قاضي القضاة المعروف بقاضي عسكر وحولهُ العلماء وكل اشراف البلاد يتقدمهم اشراف اشرفي البكرية السادات وهؤلاء من سلالة النبي. ثم اعيان التجار المصريين والافرنج والقناصل وبطرك

النصارى (الاقباط) وبطرك الروم ومطران دير جبل سينا . فعند وصول الباشا وابنهِ الى الميدان اطلقت المدافع من القلعة وقرعت الطبول والصنوج وعزفت الزمور وكان في الميدان الخارجي نحو الفي فارس من فرسان العرب والحرس وفرسان السباق ممتطين الجياد المطهمة من اجود الخيول العربية والمصرية وعليها السروج الثمينة الذهبية والفضية وخصوصاً سروج الامراء وكلها مرصعة بالحجارة الكريمة والياقوت والماس واللؤلؤ

وفي وسط هذا الميدان نصب صيوان الباشا وعلى مقربة منهُ صيوان الموسيقيين والطبالين والزمارين . وكان كلما اقبل وفد او فئة من هؤلاء المدعوين عزفوا وقرعوا الطبول اكراماً لها . وكان في مقدمة المدعوين رجال القصر واتباع الباشا وحرسهُ وقوادهُ وجندهُ وخدمهُ بعد ان خلع على كل منهم بذلتين جديدتين والبذلة من الجوخ الانكليزي مؤلفة من دامر او جبة قصيرة تحتها سراويل واسع مبطنة بالفرو المسكوبي الثمين ومن قبعة او قاووق على دائرهِ شريط ذهبي عرضهُ اربع اصابع وهو من المخمل او الجوخ الانكليزي . واما الخدم والمماليك والغلمان (الايشوغلان) فسراويلاتهم من القطيفة الحمراء المطرزة حواشيها بالقصب . واما ملابس القواد والاجناد الكبار وعظماء القصر فمن القطيفة الخضراء المطرزة على زي الباشا وجببهم مبطنة بالفرو الغالي الثمن . واثواب الغلمان والخدم والحاشية المخصصين لخدمة ابرهيم بك كانت مبطنة بفرو السمور وسراويلهم مطرزة بالقصب

وكان ابرهيم بك محاطاً باتباعهِ وخدمهِ ومعلميهِ وقوادهِ وحرسه ومتردياً بسراويل قصير من الجوخ الابيض البندقي المنسوج بالذهب فوقهُ دامر من المخمل القرمزي المطرز بالقصب الذهبي وعلى دائرهِ شريط موصع بالحجارة الكريمة فوقهُ جبة او (كرك) من فرو السمور مبطنة بالحرير الاخضر الزاهي وظاهرها منسوج بالذهب ومرصعة كلها بمئات من حبال اللؤلؤ المنضد الكبير الحجم . وهذه الجبة تضم عراها عند العنق بقفل من الذهب الابريز عليهِ جوهرة كبيرة من الماس . وعلى رأسهِ قبعة او قاووق عالٍ من المخمل على لون ثوبهِ مغشى كلهُ باللؤلؤ الثمين تعلوهُ ريشة سوداء غالية الثمن معقودة بجوهرة كبيرة من الماس . وكان يبدل ثيابهُ في اليوم ثلاث مرات او اربعاً على ازياء والوانٍ مختلفة يظهر في كل حفلةٍ بشكل يختلف عن الآخر

وكان صيوانهُ لا يقل عن صيوان ابيهِ زخرفة وفخامةً وزينةً صنع من الدمقس الاحمر وفرش بالطنافس العجمية الثمينة وجدرانهُ موشاة بالاقمشة الحريرية المنسوجة بالذهب وفي اعلاهُ هلال كبير من ذهب يسطع بهاءً وكذلك المساكن المخصصة لهُ بالقلعة فكلها

مفروشة بالمقاعد الحريرية والطنافس الفاخرة والرياش الثمينة والاواني الذهبية وستائر النوافذ من القماش الرفيع المنسوج بالذهب من صنع البندقية . واما سرير نومهِ فمقعد (ديوان) عريض مغطى بقماش المخمل القرمزي اللون المطرز بعروق الذهب من صنع بروسه قائم في وسط مخدع كبير ومزين بانواع الرياش الفاخر يعلو عن الارض وفوقهُ فراش من الحرير الاخضر عليهِ ملاءة بيضاء بديعة الزركشة والتطريز من صنع الهند تتدلى من اطرافها السجف الذهبية بعرض اربع اصابع . وهذا السرير الملوكي مغطى بكلة (ناموسية) من التول الثمين من صنع ريمس يعلوها هلال من ذهب مرصع تفتح وتضم من الاعلى الى الاسفل بازرار من حجارة كريمة بين زمرد وياقوت . وحول هذا السرير سريران آخران لا يقلان عنهُ فخامة لبعض الغلمان من اولاد الامراء المختتنين رفقاء ابن الباشا لكي يأتنس بهم

ولنصف الآن الملاعب والمآدب التي اقيمت في هذا المهرجان : كان الراقصون نحو مئة شخص ولهم في كل يوم من الايام العشرة ثياب مخصوصة فاخرة بالوان مختلفة وكلها من القماش المنسوج بالذهب وكل من زار استانبول عاصمة السلطنة وعاشر الاتراك عرف ميلهم الكثير الى مشاهدة المراقص والملاعب واحياناً يمثلون في خلال الرقص نوعاً من التمثيل الهزلي الخلاعي والروايات المجونية . ولم ينقطع الرقص والتمثيل ليلاً ولا نهاراً كل مدة المهرجان فكان الراقصون يتناوبون العمل فيما بينهم في صواوين الميدان وفي قاعات القلعة لتسلية الحريم

وكانت تقام في كل يوم المصارعات البدنية والالعاب الرياضية والمبارزات بالسيف والحكم بين المصارعين المشهورين حتى ان مماليك الامراء اشتركوا في هذه المصارعات واحياناً كان يشتد القتال فيما بينهم ولولا الباشا ومهابتهُ في قلوبهم لكانوا فتكوا بعضهم ببعض . وكل منهم كان يبدي مقدرتهُ في المهارة والفروسية في المصارعات والمبارزات ليفوز بالجائزة لان الباشا كان يعطي الفائزين جوائز كبيرة بين نقود واسلحة وحليّ واقمشة . واحياناً كان يعهد الى ابنهِ ابرهيم بك في توزيع هذه الجوائز على المصارعين

واما الزينات والانوار فكانت كثيرة فائقة الحد فنصب في الميدان نحو مائة الف مصباح كبير تضيء بانوار ساطعة حتى صار الليل نهاراً وهذه المصابيح منظمة تنظيماً بديعاً بالوان مختلفة وحول الميدان مشاعل كبيرة يتقد فيها خشب الأرز (الشراق) من المساء حتى الصباح فصار كانهُ شعلة من نار . ومن غرائب هذا المهرجان نخلة باسقة قلعت من الارض

بجذورها ونقلت الى الميدان وغرست فيهِ والتفت حولها المصابيح والشموع والانوار كانها شجرة ساطعة وكتب عليها باحرف من نور هذه الكلمات « لا انمو الأ بالختان » وفي هذه الجملة نكتة بديعة اي كما ان النخلة لا تنمو الأ بتقليم اغصانها وقطعها هكذا المرء لا يتطهر الأ بالختان . وازاء سرادق الباشا وابنهِ قوس كبيرة كتب في اعلاها هذه الكلمات على انوار المصابيح « فليكن اسم اسماعيل مجداً واسم ابنهِ ابرهيم معظماً »

وكانت الاسهم النارية والمفرقعات تطلق في كل ليلة على اشكال بديعة مختلفة وتظهر امام المشاهدين على شكل اشجار وحيوانات من نار تجري بين ارجل الجموع ولم يحدث منها ضرر لاحد. ومن مدهشات المهرجان مركب مصنوع بمهارة عجيبة يسير بقوةٍ آلية في بحيرة الماء و يطلق المفرقعات في الهواء

وكانت ابواب القلعة في اثناء الاحتفال تحت حراسة عدد عظيم من الانكشارية المسلحين وكذلك ميدان الصواوين والمضارب لحفظ النظام وصيانة الامن. ووكل الباشا الى اربعة من قوادهِ برتبة « كيخيا » ترتيب المآدب وحفظ النظام بين المدعوين . ورتبة الكيخيا تعادل عندنا رتبة الكولونل في الجيش وتحت امرهم مئات من الخدم وغلمان المماليك

واما المآدب فكانت فخمة عظيمة مدة العشرة الايام لم يسمع بمثلها قط فكانت تذبح فيها يومياً الوف من الخراف والعجول والدجاج والاوز وقسمت الموائد الى ثلاثة اقسام كبيرة فمائدة الباشا يجلس عليها سبعمائة مدعو من العظماء والامراء والعلماء والاعيان . ومائدة ابنهِ يجلس عليها اربعمائة من ابناء هؤلاء العظماء يخدمهم غلمان المماليك . والمائدة العمومية للاهالي يجلس عليها ثلاثة آلاف نفس وهذه المائدة اقيمت في قاعات القلعة الكبرى والوليمتان الاوليان جعلتا على موائد مستطيلة قصيرة القوائم والوليمة العمومية على حصر مفروشة بالارض وكل مرة توضع على شكل مختلف عما قبلهُ فيوماً مستطيلة و يوماً مربعة و يوماً مثلثة وتقام هذه المآدب مرتين في اليوم ظهراً ومساءً . واما الاطباق والصحون والاواني التي كانت على هذه الموائد فكانت بعد ان تملأ من المأكولات تنضد بعضها فوق بعض على ثمانية او عشرة صفوف حسب اختلاف اشكال الاطعمة فاذ انتهى فوج من الآكلين يخرجون وفي الحال يأتي مئات من الخدم و يرفعون الطباق الفارغة و يضعون غيرها ملآنة كالتي قبلها ثم يدخل الفوج الثاني وهكذا الى ان تنتهي المآدب وفي آخر الجميع يدخل المماليك والخدم فيأكلون

ولرؤساء الجند واتباع الباشا ورجال قصره مائدة خصوصية ايضاً وذلك عدا الموائد التي تقام في داخل منازل الحرم لازواج الباشا ووصيفاتهن وجواريهن وللاغاوات · ولم يحرم النساء شيئاً من انواع الملاعب والمراقص والملاهي في ذلك المهرجان فقد خصص الباشا قسماً في داخل القلعة لاقامة هذه الملاعب يتفرجن عليها من وراء الستائر والنوافذ

وقد اشترك اهالي مصر عموماً والفقراء خصوصاً في هذه المآدب ونصبت لهم الموائد في ارض الميدان الخارجي وكانت توزع الاطعمة ضمن ارغفة كبيرة على الوف منهم في اليوم مرتين · وبالاجمال بلغ الذين اكلوا على موائد الباشا في مدة هذا الاحتفال عشرة آلاف نفس في كل يوم

وعدا ذلك نصب صيوان كبير عظيم الاتساع في الميدان الخارجي وصفت فيهِ موائد كثيرة وعليها الآنية والقوارير الكبيرة تملأُ ماء مبرداً معطراً ومشروبات محلاة بالسكر او بعصير القصب وعطر الورد وهناك مئات من الخدم يقدمون لكل طالب وقادم ما يطلب من المشروبات في كل وقت اراد · وبالاجمال اقول ان السلطان مصطفى مع كل مجدهِ وابهتهِ في عاصمة سلطنتهِ لم يكن المهرجان الذي عملهُ في استانبول عند ختان اولادهِ اكثر بهجة ورونقاً وفخامةً واسرافاً من هذا المهرجان · فقد بذر فيهِ الباشا اكياساً كثيرة من المال وكان يوزع النقود والذهب في كل ساعة من ساعات النهار على اللاعبين والراقصين والمصارعين وكان ابرهيم بك يجيز من يقدم لهُ شعراً او زهرةً اودمية نادرة بقبضة من المال وكانت اكياس النقود مرصوفة بجانبهِ بعضها فوق بعض وكذلك الباشا كانت حولهُ اكياس كبيرة من النقود الذهبية والفضية تفرغ وتملأُ في كل ساعة واحياناً كان يأمر بعض مماليكهِ فيأخذون الاكياس وينثرون ما فيها من النقود على الجموع فيتزاحمون لالتقاطها

وقد احصي الغلمان من ابناء الاهالي الذين ختنوا اثناء هذا المهرجان على نفقة الباشا فبلغوا خمسمائة غلام في كل يوم عدا ابناء الامراء والعظماء ولا يقل مجموعهم عن ستة او سبعة آلاف غلام ووزع على كل ولد مختتن قطعة من نقود الذهب ليحفظها تذكاراً عندهُ وعلى قول العارفين بلغ مجموع ما انفقهُ الباشا على ختان هؤلاء الغلمان نحو خمسين الف ايكوس (الايكوس ريال فضي تعادل قيمتهُ الآن ثلاثة فرنكات)

وفي اليوم الاخير من المهرجان احتفل بختان ابرهيم بك وكان ذلك في اليوم الاول من شهر ديسمبر فخرج من القلعة لابساً حلة ثمينة فاخرة وعلى رأسهِ قاووق قرمزي من لون ثوبهِ فوقهُ ريشة طويلة معقودة بجوهرة كبيرة الحجم من الماس تسطع بهاء فركب جواداً مطهماً

كل سرجهِ وعدتهِ من الذهب الخالص المرصع بالحجارة الكريمة من ماس و ياقوت وفيروز وزمرد وتقدم الموكب جوقة من الزمارين وقارعي الطبول والصنوج وخرج معهُ كل قواد القصر ورجال الباشا وحاشيتهُ واتباعهُ وركب معهُ فرقة من الحرس والانكشارية والفرسان والرماحة يتقدمهم فارس حامل شارة الباشا وطغراءهُ وهي رمح طويل يعلوهُ ذيل جواد معقود عليهِ علم الهلال الاحمر التركي وسار في ركابهِ ايضاً جميع العظماء والامراء واعيان البلاد والحكام وتبعهُ الوف من الجماهير يتفرجون على هذا الموكب الحافل

وركب حول الغلام اربعة من ابناء الامراء بثياب زاهية من الجوخ الاحمر المنسوج بالذهب وامامهم اكياس النقود الذهبية ينثرونها وهم سائرون على الجموع عن اليمين واليسار فيتزاحمون و يتقاتلون لالتقاطها و يملأُون الفضاء بصراخهم المتواصل داعين لابن الباشا بالخير والبركات وطول العمر

وكان الباشا يتفرج من نافذة قصرهِ بالقلعة على الموكب وهو خارج من الرميلة الى الخلاء بطريق مصر القديمة وفي هذا اليوم لم تبقَ امرأَة في بيتها فكل نساء مصر خرجن وتبعن هذا الموكب وكان الفرح عامًّا شاملاً جميع طبقات الاهالي حتى ان الباشا في هذا اليوم اصدر عفواً عامًّا عن المذنبين والمجرمين واخرجهم من السجون ما عدا القتلة وقطاع الطرق . وأَوفى ديون كثيرين من التجار المفلسين المسجونين

وختن مع ابرهيم بك في ذلك اليوم ستة من ابناء الامراء وعشرة من غلمان المماليك رفاقهِ وكان ذلك في جامع اثري قديم بالقرب من مصر القديمة (جامع عمرو) ولما تمت حفلة الختان خرجوا ورجع الموكب الى القلعة . ولما وصل ابرهيم بك ادخل الى قصرهِ ووضع في سريرهِ وجعلت اسرَّة فاخرة حولهُ للغلمان الذين اختتنوا معهُ لكي يؤانسوهُ . وفي ذلك اليوم وزع الباشا على قوادهِ ورجال قصرهِ مبالغ كبيرة من النقود الذهبية ووهب خدمهُ جوائز مالية وعين معاشات يومية وجرايات لبعض خواصهِ واتباعهِ يقبضونها من الخزينة يوميًّا ما بقوا احياء . ولم تحرم نساء الباشا ووصيفاتهن وحرم القواد ونساء القصر من الاشتراك في هذا الفرح العام فاقيمت لهن في قسم الحرم المآدب والمراقص والملاهي ووزعت عليهن الحلى الثمينة والمصوغات ونقود الذهب عن سعة و كرم جاوز الحدود

والعادة عند الشرقيين عموماً والمصريين خصوصاً انهم عند اقامة حفلات الولادة والزواج والختان او غير ذلك يقبلون الهدايا التي تقدم لهم من المدعوين او الاصدقاء غير

ان الباشا اعلن انهُ لا يقبل من احد ولو كان عظيماً هدية ما ولو قبل لكان جمع من الامراء وعظماء البلاد وحكام المقاطعات هدايا كثيرة من نقود وحلى وامتعة ومأكولات مما يسد نفقات هذا الاحتفال التي قد بلغ مجموعها مع ما وزعهُ من النقود نحو الف ومئتي كيس · والكيس تعادل قيمتهُ عندنا خمسمائة ايكوس فجملة النفقات ستماية الف ايكوس (تبلغ قيمتها بحسب النقود الدارجة الآن نحو مليون وثمانمائة الف فرنك او ٧٢ الف جنيه)

فلم يقبل الباشا هدية سوى الهدية التي قدمتُها لهُ لكونها تحفة اثرية نادرة ثمينة وهي مرآة مثمنة الزوايا من البلور الحجري الثمين النادر واطارها ومقبضها من الذهب المرصع بالحجارة الكريمة · وكانت هذه المرآة من امتعة حرم السلطان مصطفى اخرجت من السراي السلطانية في استانبول اثناء الفتنة التي حدثت وخلع فيها هذا السلطان المرة الاخيرة فانتقلت هذه التحفة الثمينة من يد وزير الى يد سفير الى ان وصلت الى يدي فحفظتها كاثر ثمين ورأيت ان اقدمها هدية الى صديقي اسماعيل باشا لمناسبة ختان نجلهِ فقبلها شاكراً وقال لي علناً « اني لم اقبل من احد هدية ما كما تعلم غير انهُ لا يسعني ان ارفض هديتك الثمينة هذه اكراماً لك يا صديقي القنصل وتأكد اني اقدرها حق قدرها »

السلطنة المصرية

ان كل السياح الافرنج الذين اموا مصر في ازمنة وعصور مختلفة كتبوا في رحلاتهم عن حدودها ومدنها وثغورها وقواتها واحوالها الداخلية وتجارتها ونقودها وجماركها واهلها وتعدادهم واجناسهم واوصافهم · فرأيت اتم فائدةً واسهل منالاً ان اقسم المقالات التالية الى مواضيع مختلفة فنقلت كل ما قالهُ كل منهم في ذلك الموضوع وجمعت الحوادث التاريخية والغرائب النادرة التي لقيها كل منهم في سياحتهِ في باب مخصوص

وهذه اسماء السياح الذين نقلت عنهم واوصافهم وتاريخ رحلاتهم

(١) جيهان تنود · سائح الماني الجنس فرنسوي التابعية ارسلهُ لويس الثاني عشر ملك فرنسا ملحقاً وسكرتيراً لفرنسوى دي بوجيهان ثم انتدب سفيراً مفوضاً مع حاشية كبيرة لدى قانصوه الغوري سلطان مصر سنة ١٥١٢ لتقرير السلام وحل المشاكل التجارية والسياسية وفتح كنائس بيت المقدس · فكتب رحلة مطولة مدققة عن مصر وسوريا طبعت في البندقية سنة ١٥٢٠ وفي فرنكفورت سنة ١٥٩٠

(٢) دلاّ فاله · امير روماني من اغنى الاسر النبيلة في رومية تزود بتوصيات من

البابا والامراء الى سفير فرنسا في القسطنطينية وقناصلها في مصر وحلب والقدس وبغداد فحضر اولاً الى القسطنطينية ومكث فيها مدة سنة ضيفاً على سفير فرنسا وكتب عنها وعن سلاطين تركيا ووزرائها واوصاف اهلها ثم حضر الى مصر سنة ١٦١٤ ومكث فيها مدة وجيزة واسهب في وصف القدس و بلاد فلسطين وحلب و بغداد وزار خرائب بابل ونينوى · وفي بغداد تعرَّف برجل من اغنياء السريان الارثوذكس هجر من ماردين مسقط رأسهِ فراراً من ظلم الحكام · وكان لهذا المارديني ابنة بديعة الجمال متحلية بالعلوم والآداب والكمال تدعى « معاني » فاحبها الامير واقترن بها ولما رجع من سياحتهِ الى رومية توافد الامراء والعظماء والسفراء والكرادلة لتهنئتهِ وكتب رحلة مطولة · ولما سافر من حلب الى بغداد استأجر خمسين جمالاً وهودجاً لحمل امتعتهِ وصناديقهِ ومؤُونتهِ يحرسهُ اربعون جندياً مدججون بالاسلحة وكان يشتري التحف والعاديات والكتب العربية القديمة و يرسلها الى رومية بطريق القسطنطينية

(٣) سيزار لامبرت · سائح فرنسوي كتب رحلة سنة ١٦٢٧ قصر فيها الكلام على الاسكندرية ومصر وتجارتها ودخلها وخرجها وجماركها وعلاقاتها التجارية والسياسية مع استانبول و بلاد الافرنج

(٤) جاك البرت · كتب عن مصر واحوالها الداخلية سنة ١٦٣٤·

(٥) تفنوت · سائح فرنسوي زار مصر وسوريا وجبل سيناء ولبنان سنة ١٦٣٥ وكتب رحلة مطولة عن العرب والمصريين

(٦) سانتو سيجولزي · سائح ايطالي كتب عن حالة مصر المالية وعدد مقاطعاتها وخراجها سنة ١٦٣٧

(٧) ڤانسليب · سائح الماني المولد فرنسوي التابعية حضر الى مصر سنة ١٦٧١ وكتب رحلتهُ بامر ملك فرنسا واقام بمصر مدة طويلة وتعلم اللغة العربية ولذلك كانت رحلتهُ اكثر تدقيقاً واقرب الى الحقيقة من غيرها · وعاشر الاهالي واختلط بهم وحدثت بينهُ و بينهم نوادر كثيرة · حضر الى مصر عن طريق سوريا فاقام بحلب ستة شهور ثم ذهب الى دمشق ومكث في صيداء شهرين ثم اعترتهُ الحمَّى ولبث طريح الفراش سنة ونصفاً بحمى الربع ولما شفي ركب من صيداء الى دمياط ثم حضر الى مصر وساح في بلاد الصعيد الاعلى وكتب رحلة قصيرة لكنها كثيرة الفائدة

(٨) دي ماليت . قنصل جنرال فرنسا على عهد لويس الرابع عشر (ذكرت رحلتهُ ونشرت صورتهُ في العدد السابق)

(٩) فريدريك دي نوردن . سائح دنماركي من ضباط البحرية كان بارعاً في التصوير والرسم والفنون الحربية حضر الى مصر بامر كريستيان السادس ملك الدنمارك سنة ١٧٣٢ فاقام فيها مدة طويلة وتعلم اللغة العربية وصور كل المواقع والبلدان والآثار تصويراً متقناً دقيقاً وكتب رحلة مطولة في ثلاثة مجلدات كبيرة رسم فيها كل البلاد المصرية من الاسكندرية الى الشلال في ثلاثين خارطة ووضع فيها كل اسماء القرى والعزب بحروف عربية وترجمت رحلتهُ الى الانكليزية سنة ١٧٥٧ والالمانية سنة ١٧٧٩ وتوغل في بلاد النوبة الى ان وصل الى الشلالات ورسمها في خرطهِ واما النسخة الاصلية من هذه الرحلة مع الواحها وصورها من رسم يد المؤلف فمحفوظة في لندن . ومن قولهِ في وصف آثار مصر وابنيتها وهندستها وفنونها « ليست آثار رومية شيئاً مذكوراً امام آثار مصر وفخامتها وعظمتها واتقان هندستها . فتخرس اثينا اذا لم ترد ان تعترف صاغرة ان مصر ارقى منها حضارة وعلوماً وانها تعلمت منها الهندسة والفنون الجميلة . ولا ريب ان المصريين القدماء وصلوا الى درجة عالية في فنون الرسم والهندسة لم يصل اليها الرومان واليونان »

(١٠) بينوس . سائح فرنسوي زار مصر ولبنان سنة ١٧٧٦ وكتب رحلة قصيرة وصف فيها الثغور السورية وكتب عن اديرة لبنان

(١١) مارسل . كتب في اواخر القرن الثامن عشر كتاباً مستوفياً عن تاريخ مصر القديم والحديث واحوالها الداخلية وكان من اعضاء البعثة الفرنسوية العلمية

(١٢) ادوارد صموئيل من اعضاء الجمعية العلمية الفرنسوية كتب تقريراً مطولاً عن النقود المصرية وعياراتها وقيمتها من عهد الخلفاء الى القرن الثامن عشر

وفي حواشي هذه الكتب ورد ذكر المؤرخين القدماء الذين زاروا مصر وكتبوا عنها وهم بلينوس وهيرودوتس وسترابون واوسابيوس وتاشيتوس وبوسانياس وفيلوستراتوس ولوشيانو وديونيسيوس اليوناني وغيرهم

ديمتري نقولا

المجزرة العظمى

ونجوى صريع

رَفل العالم في ثوبِ السرور   زمَناً وابتسمت فيهِ الثغور
وَصفتْ بالسلم اوقاتُ الهنا   ومرتْ رُوحُ التصافي بيننا
فانا مِثلُكَ بل انت انا

لم يكن ثمة صدٌّ ونُفور   لا وَلا الانفسُ تغلي وتفور
قد تركنا كل ضِغنٍ وعداء   اقوياءٌ ما ترى او ضعفاء
كلُّنا في نظر العلم سواء

انفسٌ في عالم الحق تنيرْ   مُلئت ارواحها ذرات نورْ
يتطايرن على وجه البسيطْ   تلك لولاها لما شعَّ المحيطْ
أفتدريها لماذا نستشيطْ

لم تجد من مصلحٍ حرٍّ غيور   يتلافى رأيهُ عقبى الامور
فهو اما طائش لم يعرفِ   او خبيرٌ جائرٌ لم ينصف
او مليك لم يجد من يصطفي

خانهُ الجدُّ وحفتهُ الشرورْ   وعليهِ فلك الدهر يدور
مِثلما دارت رحى هذه الحروب   واستوت في شرها كلُّ الشعوب
فمن الغرب الى اقصى الجنوب

ومن الشرق شمالاً ستثورْ   وهي في البر مجال والبحور
لم نشاهد اختها فيما مضى   سُجِّرتْ برًّا وبحراً وفضا
افضاءٌ هي ام فوق القضا

عثرةٌ جاء بها الفكرُ العثورْ   مُنجداً طوراً واحياناً يغور
تائهاً ضلَّ ولمّا يهتدِ   ما رأى فيما رأى من مرشدِ
فغدا في يومهِ مثل غدِ

هائماً فيهِ عشيًّا وبكورْ   لم يجد للعثرةِ الكبرى غفُور
كبرت عثرتهُ من ان تقال   وهو قد اوقدها حرباً سجال
انما غفرانها فرضٌ محال

عبراً نقرأُ ام تلك سطور   ادهشت كل سيامي فكور
كيف لا تذهب في الريبِ العقول   انها موضع شكٍ وذهول
وقعةُ الغربِ او اليوم المهول
أترى مرّت قرونٌ ودهور   مثلما مرت بنا هذي العصور
كانت الحرب اذا اشتد الكفاح   بسيوف وقسيٍ ورماح
ماتعدت غير ذيّاك السلاح
وهي لا تنقضُ بنياناً ودور   ولها منا جزاءٌ وشكور
أترى رمحاً وسيفاً ينتضى   ام ترى ناراً وبرقاً اومضا
لا ترى اليوم سلاحاً ايضا
عاد منسيًّا على مر العصور   لا تراهُ او ترى اهل القبورِ
نسيت تلك ولما تذكرِ   انما يذكرُ صنع «موزرِ»
ما عدا المخترع المبتكرِ
هكذا جاد بها رب الشعور   وبدت سافرة بعد الستور
فغدا في الحرب صوت المدفعِ   هاتفاً يا ايها الحصن اركعِ
وانزعي يا نفس او فادّرعي
ليس تحميك قلاع وصخور   لا متاريس ولا يعصم سور
لم يكن بعدُ وفاق ووئام   فلتطب «لاهاي» في قصر السلام
تنظر العالم مختل النظام
أفيقضي كل مختالٍ فخور   ان تُرى النفس طعاماً للنسور
او تُرى طافحة فوق البحور   تخذوها بدل اللوح جسور
عبرة قد خلقت ام للعبور
انفسٌ ماجت كما ماج الاثير   فهي لا تنفكُّ كالجرم المنير
مرة يخفى واخرى يظهرُ   وهو يطوى مثلما ينتشرُ
فلماذا بهِ لا نعتبرُ
ومتى نسلمُ من فتكِ الغرور   فلقد ضاقت وسيمات الصدور
كيف لا تحرجُ بالضيق النفوس   او ما سُجِّرت الحرب الضروس
أفلا نخشى على الدنيا العروس

حسرات النفس من بعد النّفيرِ   وذواء النبت من حر الزفير
وتعود الارض قاعاً صفصفا   لا ترى ثمة قصراً مشرفا
لا ولا اندية او متحفا

اترى تهدمها ايدي الدثور   بعد ما شيدت صروحاً وقصور
بنيت كلٌّ بشكل هندمي   ما تراءت قبل في اقليدُسِ
وتعالت كالرفيع الاطلسِ

أبرجٌ ضمت شموساً وبدور   فهي كالارض حواليها تدور
لم تقف يوماً عن السير السريع   تحِف العالم من كل صنيع
كيف قد فاجأها الخطب الفظيع

ففدت ثابتةً بعد المسير   وتلاشت وهي ارمى من ثبير
ودهى العالم شرُّ الفتن   فالقرى في الارض مثل المدنِ
قد تساوت في الشقا والمحنِ

تركتها الحرب في ادهى الامور   انما تلك التجارات تبور
اترى كم مخفرٍ او معملٍ   لم يجد ملتمساً للعملِ
كيف قد أثّر قطع السُّبلِ

وغدا الناس بشرٍ مستطير   شَرَعٌ فيهِ غنيٌّ وفقير
من ترى سعّرها حرباً زبون   اكلت نيرانها دور الفنون
وهي لم تبقِ قلاعاً وحصون

لم تذرْ فرداً ولا جمعاً غفير   لا فتًى كهلاً ولا شيخاً وقور
اكذا تقضي نواميسُ الاخاء   تصبغُ الارض دماء الابرياء
اشقالا بعد ذيّاك الهناء

تِلكُمُ الحرب او الشر الخطير   افتطفى هي بالنوء المطير
فسرى القائد في اجنادهِ   واعتلى الطيارُ في منطادهِ
وطفى البحريُّ في طرادهِ

سابحاً بلغْ افواهَ البحور   ماضياً في عزمةٍ ما ان تخور

النجف الاشرف   **محمد باقر الشبيبي**

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستجار على المطوَّلة

اكوات العراق

حضرات العلماء اصحاب المقتطف

تحية وسلاماً

و بعد فقد اطلعت على ما كتبهُ الاخ الاديب الشيخ كاظم الدجيلي فسرني كثيراً ما جاء في مقالتهِ من انتقاد بعض مقالتي اكوات العراق التي نشرها المقتطف في العام الفائت وهذا الانتقاد وان كان نشر في غير وقتهِ ولكنهُ قد نبهني الى اشياء لم يكن في امكاني التحري فيها لاني كتبتها بعيداً عن وطني ولم اجد من اسألهُ في هذه البلاد عمَّا يشرح غامض هذه الكلمة ممن لهُ علم تام باحوال العراق — لذلك انا اشكر الشيخ كاظم على تحفتهِ هذه واشكر المقتطف الذي يهتم بنشر الحقائق . وحيث ان حضرة الشيخ لم يصب الحقيقة في جميع ما قالهُ فانا ارد عليهِ ما اخطأ فيهِ مراعياً جانب الاختصار فاقول

(١) جاء في انتقادهِ مقالتي قولهُ : والصحيح ان كلمة كوت لا تستعمل الاَّ في الامكنة الواقعة فيها بين كوت الإمارة والناصرية والفاو لا غير : وهذا ليس بصحيح ولعل الشيخ لم ينظر في المصور الجغرافي فيرى ان (الكويت) التي على ضفة خليج البصرة هي وراء الفاو بعيدة عنهُ وتسير السفن الشراعية من الفاو الى الكويت فتقطع المدة في اكثر من ١٢ ساعة وتمخر بحراً لا ريثًا ولا عجلاً . ثم انهُ انكر ان تكون كلمة كوت مستعملة في بعض سواحل الهند وفارس وهو انكار لا صحة لهُ لان هـذا جاء في مجلة لغة العرب التي كان حضرتهُ مديرها والمجلة المذكورة اقتبستهُ عن مجلة المشرق (٧ : ٤٥٠) فكيف ينكرهذا. واظن حضرتهُ فهم ان قولي — كلمة كوت مشهورة متعارفة في . . نجد . . وبعض بلاد العجم والهند الساحلية — انها مستعملة استعمالها في العراق وهذا نظر غير نافذ وانما اريد

بذلك ان هذه اللفظة منطوقة عندهم ومعروفة في لغتهم وهذا اذا لم يقتنع بهِ حضرتهُ فان في ساحل الهند بعض القرى والبلاد المسماة بهذا الاسم منها البلد (كالى كوت) وهي قريبة من بمبي وتكتب في بعض المصورات الجغرافية (قالى قوط) وهو تصحيف فظيع وهي على ساحل البحر وفي نفس بمبي فرضة اسمها كوت بندر على ساحل البحر · وازيدهُ هذه المرة ان البلد الكبيرة المشهورة (كوتا) قريبة من قندهار · وعلى مقربة من كشمير قرية اسمها كوت وهناك قرى اخرى و بلاد تسمى بهذا الاسم مضافة ومجردة وفي جزيرة سومطرة بلد (راجا كوت) وفي نجد من جزيرة العرب قرية غير مشهورة اسمها كوت السقدونية وفي الهند قرى غير شهيرة اسمها كوت منها واحدة في كمباد · فهل لهُ بعد هذا ان ينكر عليَّ وعلى مجلتهِ ما ذكر وليس لهُ الأ ان يقول ان استعمالها في هذه الجهات ليس كاستعمالها في العراق الاسفل ونحن قد نتساهل معهُ في هذا القول الاخير ونترك البحث فيهِ الى فرصة اخرى

(٢) ثم قال الكاتب : والصحيح ان الكوت لا يختص بمكان بل قد يبنى الكوت في البرية او على ضفة نهر او شط — هذا ايضاً مخالف لما جاء في مجلتهِ فان العبارة التي اقتبستها المجلة عن المشرق واثبتها في (٣ : ٦٢) تناقض هذا وتأباهُ كل الإباء وهذا يناقض ايضاً قولهُ الآتي : ان الكوت يبنى لجماعة الفلاحين ··· ثم قال و يقابل الكوت الجماعة عند فلاحي العراق بغداد — قلت الجماعة هي (العزبة) بلغة فلاحي القطر المصري ولم نرَ عزبة او جماعة بنيت في البادية بعيدة عن المياه والنبات بل لا بد ان تبنى على مقربة من الماء والزرع والفلاحون من اشد الناس حاجة الى الاقتراب من المياه التي يكثر وردهم اليها وصدرهم عنها سواء كانت نهراً او بحراً او مستنقعة او غديراً او ينبوعاً او غيرها كترعة وجدول او سيل · ولا بد ان يكون الماء قريباً من عزبتهم او (جماعتهم) والذي جعل اخانا يتهافت في هذه المقالة انهُ رأى بعض الاكوات بنيت في البرية وهذا ظن بعيد لان هذه القرى التي في البوادي المسماة بكوت كانت مؤسسة على مقربة من الماء من جدول او ترعة او اضاة او غيرها ثم ان مجاري الماء تغيرت او نضبت او درست و بقيت الاسماء على مسمياتها المصطلح عليها بعد ما ذهب عنها الماء · ويجمل بنا هنا ان ننقل العبارة التي في مجلة المشرق البيروتية (٧ : ٤٥٠) والتي نقلها حضرتهُ في حاشية مجلتهِ (٣ : ٦٢) واليك حكاية ما قالت مجلتهُ

« والكوت في لغة اهل العراق وما داناهُ من ديار العرب و بعض العجم والهند البيت المربع المبني بهيئة القلعة او دونهُ تحصيناً يتخذ ملجأ عند الحاجة وحولهُ بضعة بيوت راجعة

الى البيت الاب ولا يطلق عليهِ هذا الاسم الأ اذا كان قريباً من الماء مهما كان هذا الماء نهراً او بحراً او بحيرة او مستنقعاً ثم توسعوا فيهِ حتى اطلقوهُ على كل قرية او مدينة كان اول منشاها هذا الكوت او بنيت قريباً من الماء وربما اطلقوها على كل ارض فيها زرع وخصب وجاورت الماء فاصبحت بمنزلة الريف عند فصحاء العرب — انتهى المراد منهُ — ومن النظر في شرح كلمة ريف يظهر ابطال قول الشيخ كاظم — قال المجد :

الريف ارض فيها زرع وخصب ثم قال والريف ماقارب الماء من ارض العرب (قال الزبيدي والاولى حذف العرب) او حيث يكون الخضر والمياه والزروع وراف البدوي يريف اتاهُ كاراف . فمن هذا يظهر لك صحة ما ذكرناهُ من قبل

(٣) ثم قال : ولا يختص بما وصفهُ الكاتب من اكوات العراق الا كوت الامارة واما غيرهُ فلا — ونسي حضرتهُ كوت الافرنجي الذي تبنى فيهِ المراكب ويصلح ما فسد منها ويرأب ما انكسر وتبنى فيهِ الجنائب « الدُوَبُ » على لغة العراق وهو اكبر محل في العراق لهذا الغرض واين هو من كوت الزين الذي ترسو عندهُ المراكب البحرية الذاهبة والآتية بين العراق والهند والجزيرة

(٤) ثم قال : ويقابل الكوت الجماعة وزن جمارة عند فلاحي اطراف بغداد — مع ان اهل بغداد والبصرة والبلاد الاخرى مشتركون في استعمال كلمة (الجماعة) بمعنى (العزبة) واما الكوت عند البصريين فهو البيت الكبير الذي يجمعون فيهِ التمر إبان (الصِرَام) ويوعونهُ في اوعية معروفة عندهم بالكَيش (بكاف فارسية) والحِلاَن والصناديق والخصاصيف الواحدة خصافة وهذا البيت لا يكون الأ لكثير الغنى واسع الاجربة واما الجماعة عندهم فهي مساكن الزراع والعمال ومنازل عيالهم ونسائهم وهي كالعزبة في القطر المصري كما ذكرنا آنفاً ولا نعرف البصريين يستعملون الكوت استعمالاً يوافق ما ذكرهُ الكاتب وهو اليوم في البصرة وكتب هذا النقد فيها فهلاَّ نظر في صحة ما قال وهو اقرب منا الى تناول هذا

هذا ما عنَّ لي اليوم في بعض ما ذكرهُ واستميحهُ عذراً إن كنت اخطأت في الباقي فاني لم اتعمد الخطاء والانسان قد يخطئ وقد يصيب واللبيب من قل خطاؤُهُ وكثر صوابهُ واختم قولي هذا باهدائهِ تحياتي على بعد ما بيني وبينهُ واذكرها لهُ على لسان المقتطف الاغر

محمد الهاشمي البغدادي

استدراك

جاء في مقتطف ابريل : ٣٨٢ هذه العبارة (ومن الآثار الباقية معسكر ابي جعفر المنصور شرقي الرصافة) وصوابهُ ان تكون العبارة هكذا (ومن الاثار الباقية معسكر ابي عبد الله محمد المهدي بن ابي جعفر المنصور) ولذلك وجب التنبيه م ٠ ه ٠ ب

ايضاح

سيدي منشئ المقتطف

بعد التحية قرأت في مقتطف ابريل سنة ١٩١٧ نبذة عنوانها مثل من طول الاعمار جاء فيها — وذلك بعد مجاوزتهِ العقد الثامن اي ضمن السن التي صاح فيها الشاعر معتذراً عن كلال حد مخيلتهِ ونضوب معين قريحتهِ فقال

وماذا تبتغي الشعراء مني   وقد جاوزت حد الاربعينِ

واذا سمحتم لي بابداء ملحوظة على هذا شكرت لكم سعة الصدر ٠ ان هذا الشاعر وهو سُحيم بن وَثيل بن أُعيفِر بن حميرى ابن رِباح الرياحي قد اراد من بيتهِ عكس ما اليهِ قصدتم وهو قوة حد المخيلة وغزارة معين القريحة و يبين ذلك من سبب قولهِ القصيدة ومن القصيدة نفسها

ارسل الى سحيم رجلان من بني رياح بهذا البيت

فان بُدَاهتي وجراء حولي   لذو شِقٍ على الحطم الحرونِ

يعرِضان بسحيم بانهُ لا يبلغ غايتهما لكبرهِ وعجزهِ فارسل اليهما بكلمتهِ وهي

انا ابن جلا وطلاع الثنايا   متى اضع العمامة تعرفوني
وان مكاننا من حميرىٍّ   مكانُ الليث من وسط العرِين
واني ان يعود اليَّ قِرني   غداة الغبِّ الأَّ في قرين
بذي لِبد يصُدُّ الركبُ عنهُ   ولا تؤتى فريستهُ لحين
عذرت البزل ان هي خاطرتني   فما بالي وبال ابني لبُون
وماذا ينبغي الشعراء مني   وقد جاوزت حد الاربعين
اخو خمسين مجتمع أَشُدّي   ونجَّذَني مداوَرة الشؤُون
فان علالتي وجراء حولي   لذو شق على الضَّرَع الظنون

كريم الخال من سلفيْ رياح كنصل السيف وضاح الجبين
متى احلل الى قَطن وزيد وسلمى تكثر الاصوات دوني
وهمام متى احلل اليهِ محل الليث في عِيص امين
ألَفَ الجانبين بهِ اسود مُنطَّقة باصلاب الجفون
وان قناتنا مَشِظ شظاها شديد مدّها عُنق القرين

سحيم يريد ان يقابل تعريض ابن عمهِ بهِ فافتخر ولم يَضْعُفْ — افتخر بنسبهِ وانهُ في بجبوبة آل حميري · وافتخر بشدتهِ وصلابة متنهِ وانهُ انما يعذر البزْل عند الخطار · ثم افتخر بحدة القريحة واجتماع الفكر وانهُ لا يؤتى من غفلة

روى صاحب لسان العرب البيت

وماذا تدَّري الشعراء مني وقال تدري تفتعل من درى الصيد اذا ختلهُ وهذا قريب من قول الشاعر

كيف يرجون سقاطي بعدما جلل الرأس مشيبٌ وصَلَع

وقد فسر سحيم مرادهُ واوضحهُ بقولهِ

اخو خمسين مجتمع اشدى ونجذني مداورة الشؤون

واجتماع الاشد عبارة عن كمال القوى في البدن والعقل — والتنجيذ التهذيب قال في الصحاح ورجل منجذ اي مجرب احكمتهُ الامور وهو من الناجذ آخر الاضراس · والمداورة المعالجة والمزاولة — فترون انهُ يريد وصف نفسهِ بتمام الشدة واستجماع الفكر — ثم اوضح الرد على ابن عمهِ بقولهِ

فان عُلالتي وجراء حولي لذو شق على الضَّرع الظَّنون

والعلالة بقية جرى الفرس والضَّرع الضعيف والظَّنون الضعيف والقليل الحيلة

ارجو ان اكون قد اديت واجباً للمقتطف الاغر وارجو ان تقبلوا فائق احترامي

محمد الخضري

[المقتطف] نشكر فضلكم على ما اتحفتم المقتطف بهِ ولكننا لا نزال نرى غموضاً في البيت اذا لم يكن مراد الشاعر ان من بلغ الاربعين يضعف عادةً · اوَ ليس الاولى ان يقال انهُ سلَّم بهذه القاعدة وهي ان في الكبر عجزاً ثم استثنى نفسهُ منها ولو بلغ الخمسين ليكون ذلك ادعى لافتخارهِ لاسيما وانهُ حاول تأييد حجتهِ بذكر نسبهِ وحنكتهِ كأنهُ قال « انا رجل من قوم اشداء معتادين معاركة الدهر فلا يضعفنا كبر السن كما يضعف غيرنا ولو جاوزنا

حد الاربعين او الخمسين» . ولكننا لا نتشبث بهذا التعليل بل نود ان نقف على رأي اكثر من واحد من اساطين اللغة مثل حضرتكم . ثم ان صحةَ هذا التعليل لا تصلح ما قيل من ان الشاعر اعتذر عن كلال حد مخيلتهِ ونضوب معين قريحتهِ لان القرينة التي اوردتموها لا تدل على ذلك فلكم الشكر على كل حال

باب الزراعة

علف المواشي والدواب

ان اكثر الفلاحين في هذا القطر لا يُعنى العناية اللازمة بتقديم العلف الى مواشيهِ ودوابهِ بل يطعمها ما تصل اليهِ يدهُ من الربيع والتبن والحبوب ولكن اصحاب الوسايا لا يكتفون بذلك بل يقدمون الى مواشيهم مقداراً محدوداً من العلف اليابس بعد ان تنقطع عن البرسيم والدريس وهذه هي القاعدة المرعية عندهم

للثور الشغال	٤	اقداح من الفول المدشوش	و ٨	اقات من التبن
« البطال	٢	« « « «	و ٨	« « «
للبقرة الحلوب	٢	« « « «	و ٥	« « :
للعجل	٢	« « « «	و ٥	« « «
للجاموسة الحلوب	١	« « « «	و ٦	« « «
للجمل	٤	« « « «	و ٥	« « «
للحمار	١	« « الحمص «	و ٤	« « «
للحصان	٤	اقداح من الشعير «	و ٤	« « «

وفي القطر المصري مواد اخرى لعلف المواشي غير الفول وهي كسب بزر القطن وكسب بزر الكتان او بزر الكتان نفسهُ ويحسن الاعتماد عليها اذا قلَّ الفول فلم يكفِ لعلف المواشي او اذا غلا ثمنهُ لكثرة الطلب عليهِ من الخارج . فاهالي سورية مثلاً يعلفون المواشي كرسنَّة وجزة وهي بعر دود الحرير وفضلات ورق التوت الذي يأكلهُ . واهالي اوربا يعلفون مواشيهم حبوباً مختلفة فوق العشب الاخضر واليابس اللذين يقومان مقام

البرسيم والدريس عندنا . ومن هذه الحبوب كسب فول الصويا وكسب بزر القطن المقشور وكسب بزر الكتان . وهاك ثمن الطن من هذه المواد كما كان في بلاد الانكليز في شهر فبراير الماضي وما في الطن من الغذاء الذي تهضمهُ المواشي وتستفيد منهُ

اسم العلف	مقدار الغذاء فيهِ	صعر الطن	شلن	جنيه
كسب بزر الصويا	١٣٢	٠	١٥	١٧
كسب بزر القطن المقشور	١٢٦	٠	٠٠	١٨
كسب بزر الكتان الهندي	١٢٣	٠	٠٠	١٨
٠ ٠ ٠ الانكليزي	١٢٠	٠	١٥	١٩
٠ ٠ القطن الهندي	٠٦٥	٠	١٧	١٤
٠ ٠ ٠ المصري	٠٧١	٠	١٥	١٥
٠ الفول السوداني	١٤٥	٠	١٥	١٩
الفول الانكليزي	٠٩٩	٠	١٤	١٧
الفول الصيني	١٠١	٠	١٩	١٧
الذرة الاميركانية	٠٩٤	٠	١٧	١٥
الشعير الانكليزي	٠٨٣	٠	٠٤	١٨
نخالة القمح	٠٧٧	٠	١٥	١٣
بزر الكتان نفسهُ	١٥٤	٠	١٠	٢٨
بزر القطن المصري نفسهُ	١٠٩	٠		١٩

بحث في البرسيم

البرسيم اهم نباتات العلف في القطر المصري وقد وقفنا على بحث مستفيض فيهِ للمستر هيوز كيماوي وزارة الزراعة فاقتطفنا منهُ الفوائد التالية وهي مبنية على البرسيم الذي زرع في حقل التجارب الزراعية في الجيزة

(١) ان وزن الحشة الاولى من فدان البرسيم يختلف من ١٤١ قنطاراً الى ١٥٢ قنطاراً ووزن الحشة الثانية من ١٩٦ قنطاراً الى ٢٤٠ قنطاراً

(٢) ان مقدار الماء في البرسيم كثير جداً وهو في الحشة الاولى يختلف من ٨٤ وستة اعشار في المئة الى ٨٥ وعشرين في المئة ومتوسطهُ ٨٤ وتسعة اعشار في المئة وفي الحشة الثانية

يختلف ايضاً ومتوسطة ٨٤ واربعة اعشار في المئة اي ان الماء اقل في الحشة الثانية منهُ في الاولى

(٣) ان الماء يقل في البرسيم شهراً بعد شهر كما ظهر من الامتحان في البرسيم الذي يزرع في ضواحي العاصمة فهو في برسيم ٢٥ نوفمبر ٨٨ وثمانية اعشار في المئة وفي برسيم ٢٧ دسمبر ٨٧ وعشر في المئة وفي برسيم ٢٨ مارس ٨٢ واربعة اعشار في المئة وفي برسيم ٥ مايو ٨٠ في المئة . اي ان المادة الجامدة في الاول ١١ وعشران في المئة وفي الثاني ١٢ وتسعة اعشار ،في الثالث ١٧ وستة اعشار وفي الرابع ٢٠ في المئة

(٤) اذا صار البرسيم دريساً لم يبقَ من مائهِ الأ ١٠ الى ١٥ في المئة وذلك يختلف باختلاف الوقت الذي يقطع فيهِ كما سيجيء

تحليل المواد الجامدة في البرسيم

	٢٥ نوفمبر	٢٧ دسمبر	٢٨ مارس	٥ مايو
دهن وشمع الخ	٣٫٦ في المئة	٣٫١ في المئة	٣٫٤ في المئة	٣٫٠ في المئة
الياف لا تهضم	٢٥٫٠ «	٢٥٫٦ «	١٨٫٧ «	٢١٫٠ «
كربوهيدرات ذوابة	٣٧٫٣ «	٤٤٫٩ «	٥٠٫٦ «	٤٦٫٥ «
بروتيدات	١٦٫١ «	١٠٫١ «	١٤٫٨ «	١٧٫٥ «
اميدات	٢٫٧ «	٣٫٩ «	٠٫٦ «	١٫٠ «
رماد	١٥٫٣ «	١٢٫٤ «	١١٫٩ «	١١٫٠ «
والجملة	١٠٠٫٠	١٠٠٫٠	١٠٠٫٠	١٠٠٫٠

تحليل المواد الجامدة في الدريس

	الحشة الاولى	الحشة الثانية	بالزهر	قبل التزهير
الياف	٢٤٫٢ في المئة	٢٥٫٦ في المئة	٣٠٫١ في المئة	٢٥٫٩ في المئة
كربوهيدرات ذوابة	٤٩٫٤ «	٤٩٫٣ «	٤٨٫١ «	٥١٫٩ «
بروتيدات	١٢٫٩ «	١٣٫٠ «	١٠٫٣ «	١٠٫٥ «
اميدات	١٫٩ «	٢٫٤ «	٢٫٣ «	١٫٥ «
رماد	١١٫٦ «	٩٫٧ «	٩٫٢ «	١٠٫٢ «

ويمكن تلخيص ما تقدم في ان كل الف رطل من البرسيم فيها ٨٤٦ رطلاً من الماء

و ١٥٤ رطلاً من المواد الجامدة وان نحو ستين في المئة من هذه المواد الجامدة مغذٍ اي في كل الف رطل من البرسيم نحو ٩٢ رطلاً من الغذاء

وان كل الف رطل من الدريس فيها ١٣٨ رطلاً من الماء و ٨٦٢ رطلاً من المواد الجامدة اي ان الطن من الدرس يقوم مقام ستة اطنان من البرسيم او ان ستة اطنان من البرسيم يحصل منها طن واحد من الدريس . وقد تقدم ان الحشة الواحدة من البرسيم تزن نحو تسعة اطنان فاذا جففت حتى صارت دريساً بلغ وزنها نحو طن ونصف ولكن لما كان الدريس يصنع من الحشة الاخيرة وهي قليلة المائية فلا يبعد ان يبلغ وزن دريسها طنين او اكثر

غلة الحبوب

قدرت غلة القمح والذرة والشعير وسائر الحبوب في فرنسا وانكلترا وايطاليا واسبانيا والدنمارك وهولندا ونروج ورومانيا وروسيا اوربا وسويسرا وكندا والولايات المتحدة والهند واليابان ومصر وتونس والجزائر فكانت كما يأتي

	سنة ١٩١٦	سنة ١٩١٥	
القمح	٤٨٣ ٠٠٠ ٠٠٠ اردب	٦٣٩ ٨٩٣ ٠٠٠ اردب	فالنقص ٢٤٫٥ في المئة
الذرة	٤٩٧ ١١٩ ٠٠٠ »	٥٧٤ ٢٣٩ ٠٠٠ »	» ١٣٫٤ » »
الشعير	١٥٩ ١٧٥ ٠٠٠ »	٢١٣ ٠١٨ ٠٠٠ »	» ٨٫١ » »
الراي	١٧٦ ٧١٢ ٠٠٠ »	١٨٦ ٦٠٧ ٠٠٠ »	» ٥٫٣ » »
الاوت	٥٠٤ ٦١٦ ٠٠٠ »	٥٧٩ ٣٣٣ ٠٠٠ »	» ١٢٫٩ » »

وكان النقص اكثر من ذلك في بلاد الارجنتين كما ترى في الجدول التالي

	سنة ١٩١٦	سنة ١٩١٥
القمح	١٣ ١٢٥ ٠٠٠ اردب	٣٢ ٣٤٠ ٠٠٠ اردب
الذرة	١٠ ٢٠٠ ٠٠٠ »	٢٧ ٩٠٠ ٠٠٠ »
الاوت	٥ ٠١٠ ٠٠٠ »	١١ ٨٨٧ ٠٠٠ »
بزر الكتان	١٠٢ ٠٠٠ طن	٩٩٨ ٠٠٠ طن

فنقص غلة الحبوب في البلدان المذكورة آنفاً كبير جداً يبلغ نحو ٢٠ في المئة ونقص بزر الكتان في بلاد الارجنتين لا مثيل لهُ فمن نحو مليون طن بلغ نحو مئة الف طن اي نقص نحو تسعة اعشار

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

قبض الامعاء

نريد بقبض الامعاء هنا القبض المستحكم على بعض الاجسام استحكام العادات لا المصاحب لبعض الامراض او النذير بها ولا الحادث عن أكل مواد قابضة. ويمكن تعريفهُ بانهُ بلادة تصيب الامعاء فيقلُّ ميل صاحبها الى قضاء حاجتهِ في اوقات منتظمة. ويكاد الاطباء يكونون مجمعين على القول ان جسم الرجل البالغ الصحيح يقضي حاجتهُ مرة في كل يوم. على ان من الناس من يتغوط مرتين في اليوم ومنهم من يفعل ذلك مرة في يومين او ثلاثة وتكون هذه الحالة طبيعية فيهم. واذا صحَّ مذهب متشنيكوف وانصارهُ من ان الامعاء بيت الداء وان طول العمر او قصرهُ منوطان بصحتها او علّتها ظهر للقارىء اهمية هذا الموضوع

اما اسباب القبض فعديدة. ففي حالات كثيرة يكون ناشئاً عن العادة اي انهُ ينجم عن الاهمال منذ ايام الصغر. ولكن السبب الاكبر فيما نرى كثرة مشاغل المدنية الحاضرة بحيث لا يبقى للمرء وقت للاهتمام بامر طعامهِ ولا فرصة لقضاء حاجتهِ وخصوصاً في الصباح. وقد يزاد اذى القبض بكثرة استعمال الادوية المسهلة والملينة والحقن واهمال العناية بنوع الطعام وبالرياضة التي تعدُّ من افضل الوسائل لتسهيل حركة الامعاء ومنع قبضها. اما الطعام فالواجب في اختيارهِ مراعاة هذه المبدإِ وهو ان يكون حاوياً لمواد تترك في الامعاء بقية جامدة تكون منبهاً لجدران الامعاء على الحركة والعمل ومانعاً للبلادة والكسل كالخبز الاسمر والخضر والاثمار. ولكن الاطعمة الشديدة الجفاف تساعد على القبض وكذلك يساعد عليهِ كثرة افراز العرق من الجسم والتغير الفجائي في نوع المأْكل والمشرب ومواعيدها والنحافة بعد السِمَن. ففي هذه الحالة الاخيرة يرتخي جدار الامعاء فيشتد القبض

ومن الامراض ما يساعد على القبض كالبول السكري وغيرهِ من الامراض التي

يصحبها بلادة الكبد وقلة افراز الصفراء ومعلوم ان الصفراء مفرز طبيعي غايتهُ تنبيه الامعاء على العمل . وكالبواسير وتضيق الامعاء من بثور تظهر عليها او غير ذلك . فان هذه جميعها تحدث المًا لصاحبها عند التغوط فيؤجلهُ كلما حانت ساعتهُ

والناس على اختلاف في قدرتهم على احتمال عواقب القبض . فمنهم من يتركهُ وشأنهُ ويتحمل عواقبهُ الوخيمة الى ما لا حدّ لهُ من غير ان ينالهُ اذًى يذكر في حين ان غيرهم يشعرون بتعب كثير اذا مرّ يوم واحد ولم يقضوا حاجتهم . وهذا التعب ينجم في الاكثر عن امتصاص الجسم لبعض المواد المتخلفة في الامعاء وجريان سمومها مع الدورة الدموية فيعقب ذلك بعض الاعراض المعروفة كالصداع وسرعة الانفعال والاغتمام وضعف الهمة وكراهة النَفَس واكتساء اللسان بفروة بيضاء . ويكاد المرض المعروف باسم كلوروسز اي المرض الاخضر — وهو نوع من الانيميا او فقر الدم — يكون مصحوبًا بالقبض على الدوام ان لم يكن مسببًا عنهُ . وغنيٌّ عن القول ان القبض يعرّض اصحابهُ لالتهاب الزائدة الدودية كما هو مشهور . وقد يفضي القبض احيانًا كثيرة الى المغص اما البواسير فكثيرًا ما تحدث من اهمال امر الامعاء فاذا جاءت زادت القبض شدة واستحكامًا لما تقدم من الاسباب

ولنأتِ الآن الى علاج القبض فنقول . ان المصابين بالقبض احوج في غالب الاحيان الى اصلاح طرق معيشتهم منهم الى الدواء كما هو الحال في كثير من الامراض . واذا احتاجوا الى الدواء فان احتياجهم اليهِ يكون وقتيًا والغالب ان يكون ذلك في بدء معالجة القبض . اما اصلاح طرق المعيشة فيتناول اولاً تعويد المرء نفسهُ التخلُّف لقضاء حاجتهِ كلّ يوم في ساعة معينة سواء قضى حاجتهُ ام لم يقضها . واحسن الساعات لذلك في الصباح بعد « الفطور » . ويحسن قبل ذلك ان يتمشى المصاب بالقبض بضع دقائق وليكن دوسهُ الارض سريعًا شديدًا او يتروض بركوب الخيل او بلعب الجمنستيك او غير ذلك من الرياضة العنيفة والذين لا يطيقون ذلك اما لكبر سنهم او لشدة سمنهم يحسن بهم ان يلجأوا الى دلك البطن باليد من اليمين الى الشمال تبعًا لحركة عقارب الساعة

وثانيًا اكل اشياء معينة مع كل وجبة وهذه الاشياء هي الخبز الاسمر والفواكه والخضر غير المطبوخة كالتي تصنع منها السلطه . فاذا خيف ان يفضي اكلها الى عسر هضم او الى الاصابة بمرض فلتؤكل الخضر والبقول مطبوخة جيدًا

وثالثاً كثرة شرب السوائل · ومن افضل الطرق لذلك ان يشرب المصاب بالقبض كاس ماء بارد وهو يلبس ملابسهُ صباحاً وليكن شربهُ الماء ارتشافاً · وليشرب شيئاً مع الطعام ايضاً والماء العادي يفي بالمراد في الغالب بشرط ان لا يكون شديد القساوة · والمراد بالماء القاسي الماء الذي يحوي شيئاً من املاح الكلسيوم او المغنيزيوم وعلامتهُ ان الصابون لا يُرغي فيهِ بسهولة · وليجتنب شرب اللبن في خلال الاكل فانهُ مجلبة للقبض · وليشرب الشاي والقهوة اذا شاء ولكن ليشربهما خفيفين والشاي الصيني افضل من شاي الهند وسيلان لانهُ اقلّ احتواء على المواد القابضة منها

والاطباء يصفون للقبض صنوفاً من الدواء ولكن خير ما يعالج بهِ اذا بات متملكاً للجسم تملك العادة شرب المياه المعدنية واسوغها شربًا الماء الذي فيهِ كبريتات الصودا · وطريقة شربهِ تختلف باختلاف الاشخاص ولكن من الطرق المستحسنة ان يؤخذ ملء ملعقة صغيرة من الكبريتات او اكثر ويحلّ في نصف كاس ماء ويرتشف صباحاً

وافضل الملينات النباتية السنامكي والصبر والكسكارا والاول الطفها فعلاً ومن افضل الطرق لاعدادهِ ان تغلى بعض حبات منهُ مع الاثمار المقددة والسكر وتؤكل الملاية بعد نزع هذه الحبوب منها · واذا طبخ التين بالسكر سواء كان اخضر ام مقدداً واكل لين الامعاء · والكسكارا اقوى من السنامكي وهي مقوية للجدار البطني · والصبر يصنع منهُ كثير من المستحضرات «الجاهزة» المختصة بتليين الامعاء وازالة القبض · واحسن وصفاتهِ قمحتان منهُ و $\frac{1}{4}$ قمحة من خلاصة جوزة القيء و $\frac{1}{2}$ قمحة من البلادونا تؤخذ عند النوم

وفي معالجة القبض الحاد المستعصي تؤخذ شربة زيت خروع · وقد وجدنا بالاختبار ان مزج زيت الخروع بشيء من القهوة الثقيلة الحلوة افضل الوسائل لاخفاء طعمهِ · ولكن يجب ان يقلّل اعطاؤُه للاولاد ما امكن لما هو معروف من اشتداد القبض بعدهُ · ويصفون لعلاج قبض الاولاد الذين جاوزوا سن الطفولة معجون الكبريت يؤخذ منهُ نصف ملعقة صغيرة الى ملعقة · ولا يجوز ان يعطوا الادوية التي يكثر فيها السكر لانهُ يختمر في المعدة فيولد التطبل وعسر الهضم · ومن الاغلاط الشائعة ان يقتصر في طعام الاطفال بعد الفطام على المواد النشوية والسكرية · ولا بأس من اطعامهم شيئاً من الخبز ولحم الدجاج والسمك والضاني والخضر المطبوخة والاثمار ولكن باعتدال كثير كما لا يخفى

اللعاب ومضغ الطعام

يحتوي الخبز على نشا وغلوتن وبعض الاملاح . والغلوتن في الدقيق «المقطَّف» اقل منهُ في غير المقطف فلذلك كان الدقيق الذي لم يبالغ في تقطيفهِ افضل من غيرهِ لعمل الخبز لاحتوائهِ على كثير من الغلوتن وبعض النخالة . واذ زادت النخالة في الخبز على قدر معين بات الخبز عسر الهضم على المعد الضعيفة او التي لم تعتد هضمهُ . ولا بدَّ لتسهيل هضم الخبز من امتزاجهِ باللعاب عند المضغ فلذلك يوصي الاطباء ضعاف المعدة والمصابين بعسر الهضم ان يتأنوا في مضغهم فمن الجهة الواحدة تمتزج اللقمة باللعاب جيداً ومن الجهة الاخرى تسحق تمام السحق وكلا الامرين يهوّن على المعدة عملها وبناء على ذلك يخمرون العجين بالخميرة او ما يقوم مقامها او بادخال الهواء اليهِ بواسطة طلمبة خاصة بذلك كما يصنعون بالخبز المسمى «بالخبز المهوَّى» فان ذلك كلهُ يكثر مسامهُ فيسهل على اللعاب تخللهُ

والخبز البائت اسهل انهضاماً من الجديد لانهُ اجفّ منهُ فلذلك يمتصُّ مقداراً اكثر من اللعاب . وكلما زاد جفافاً صار هضمهُ اسهل كما في اصناف البسكويت المختلفة . ولا تستطيع معدة الطفل هضم الخبز قبل تمام نصف السنة الاولى من عمرهِ لان لعابهُ لا يفرز قبل ذلك

ومن المعروف طبيًّا ان اللعاب يحوّل بعض النشا الذي في الخبز وغيرهِ من الاطعمة النشوية الى سكر سهل الهضم او ما يسمونهُ «ملتوز» وهذا ايضاً بعض السبب في وجوب العناية بمضغ الطعام جيداً

زيت الخروع

زيت الخروع اسلم المسهلات عاقبة ولكن كراهة طعمهِ تجعل المريض يعافهُ ولو تأكد ان فيهِ الشفاء . وقد وصفوا طرقاً شتى لاخفاء طعمه منها ما اشرنا اليهِ في نبذة سابقة وهو شربهُ مع القهوة ومنها شربهُ مع الشاي او اللبن او ماء الانيسون الى غير ذلك فكانت النتيجة في غالب الاحيان ان يعاف شارب المسهل هذه المواد طول عمرهِ كما يعاف الزيت نفسهُ . وقد رأينا في بعض الكتب الطبية وصفة خلاصتها ان يشرب الزيت مع اللبن بعد تسخينهما ووضع شيء من الملح على اللسان ثم ينظف الفم بمضغ حبة زبيب . ويفضل مع الكبار استبدال اللبن بشيء من العرقي او الكونياك او غيرهما من المشروبات الروحية

ولا يزال زيت الخروع اعصى على الطبيب من الفالج فلا يزيل طعمهُ الأشربة في الكبسول · ولكن الاكثرين لا يستطيعون بلع الحبوب معها صغر حجمها فما بالك بالكبسولة الكبيرة

الغلاء والاقتصاد

يشكو الناس من غلاء الاسعار في كل البلدان · ولهذا الغلاء سببان الاول كثرة النقود بين ايدي الناس لان تداولها زاد كثيراً بسبب الحرب اي بسبب كثرة الاخذ والعطاء التي اوجبتها الحرب والثاني نقص الحاصلات الزراعية في اكثر البلدان

لكن الحاجة تفتق الحيلة فاذا قلَّ الزاد وجب الاقتصاد فيهِ والاقتصاد واجب اذا لم يضر فاذا كان امام ربة البيت نوعان من الطعام احدهما غالٍ والآخر رخيص وكانا متساويين في مقدار ما فيهما من الغذاء سهل عليها الاقتصاد باختيار الطعام الرخيص وهذا يفعلهُ كل النساء المدبرات · ولحسن الحظ لا تجد غلاء المأكولات ورخصها مناسبين لكثرة غذائها وقلتهِ بل الغالب ان يكون الطعام العالي اقل غذاءً من الطعام الرخيص

اطلعنا في الجزء الاخير من مجلة العلم الاميركية على خطبة للاستاذ غراهام لسك القاها في جمعية الاقتصاد المنزلي باميركا في ٢٣ مارس الماضي ذكر فيها الطعام الذي يستطيع بيت فيهِ رجل وزوجتهُ وثلاثة اولاد ان يعتمدوا عليهِ فتبلغ نفقتهم في اليوم ٢٣ غرشاً فقط مع ان الرجل يعمل اعمالاً شاقة وزوجتهُ تقوم بكل اعمال البيت · واسعار الحاجيات زادت اميركا نحو سبعين في المئة عما كانت عليهِ في العام الماضي وهاك خلاصة ما اشار بهِ

طعام الفطور

عصيدة من دقيق الذرة مع قليل من اللبن للاطفال او من عسل الذرة للبالغين · خبز · زبدة صناعية · قهوة للبالغين

طعام الغداء

فول مطبوخ بقليل من اللحم الكثير الدهن · خبز · زبدة صناعية · شاي وسكر ولبن للبالغين · لبن للصغار · موز مطبوخ بسكر

طعام العشاء

شوربة عدس · رز مسلوق او مكروني · صالصة طماطم · خبز · زبدة صناعية · شاي للبالغين · لبن للصغار · مربَّى التفاح وجبن للبالغين

وهاك اثمان هذه الاطعمة في اميركا

البن	٢٨ درهماً	٦ مليمات	سكر	١/٤ رطل	٤ مليمات
الشاي	٦ دراهم	٤ مليمات	رز او مكروني	١ «	١٦ مليماً
اللبن	٦ ارطال	٥٤ مليماً	فول	١٢٠ درهماً	١٤ مليماً
الخبز	٢ رطلان	١٨ مليماً	لحم مدهن او دهن	١/٢ رطل	١٢ مليماً
حبوب	١/٢ رطل	٨ مليمات	اثمان مقددة	١ «	٢٤ مليماً
زبدة صناعية	٣/٤ الرطل	٣٨ مليم	دقيق وسمن لعمل الحلو		٣٠ مليماً
شراب الذرة	١/٢ رطل	٤ مليمات	والجملة		٢٣٢ مليماً

واللحم المدهن رخيص في اميركا والفول غالٍ فاذا حسبنا ثمن ١٢٠ درهماً من الفول ٦ مليمات وثمن ١/٢ رطل اللحم المدهن ٢٠ مليماً كان ذلك مماثلاً للاسعار عندنا وبقي المجموع على حالهِ لان اسعار سائر المواد مماثلة لاسعارها عندنا

والاساس الذي بُني عليهِ اختيار هذا الطعام هو ما فيهِ من الغذاء المقيس بوحدات الحرارة او الفيوح ففي رطل الخبز ١٢٥٠ من الحرارة وفي رطل الرز او المكروني ١٦٠٠ وفي رطل اللبن ٣٠٠ وفي رطل الزبدة الصناعية ٣٣٣٣ وفي رطل اللحم المدهن ٢٠٠٠ وفي رطل الفول ١٢٠٠ ومقدار الحرارة في الاطعمة المذكورة آنفاً ١٤٤٢٥ وهي تكفي بيتاً فيهِ رجل وزوجتهُ وثلاثة اولاد كما تقدم فيمكن ابدالها بغيرها حتى يبقى ما فيها من الحرارة نحو ١٥٠٠٠ مثال ذلك ان يؤَلف طعام هذا البيت في اليوم من المواد التالية

خبز	٥ ارطال فيها	٦٢٥٠	من الحرارة	تساوي	٥ غروش
فول	رطلان «	٢٤٠٠	«	«	١ ١/٢ «
لبن	« «	٢٦٠٠	«	«	٢ «
زبدة صناعية	رطل فيهِ	٣٣٣٣	«	«	٤ ١/٢ «
لحم	رطل فيهِ	٢٠٠٠	«	«	٥ «
سكر	نصف رطل فيهِ	٠٩٠٠	«	«	١/٢ «
الجملة		١٥٤٨٣	«	«	١٨ ١/٢ «

فهذا الطعام يزيد ما فيهِ من الغذاء على الطعام الكافي نحو الف من الحرارة ومع ذلك لا يزيد ثمنهُ على ١٨ غرشاً ونصف غرش بالاسعار الحالية

باب التقريظ والانتقاد

الاحكام العقلية

بحث سوري فلسفي في اميركا

الراسخ في الاذهان ان السوريين الذين هاجروا الى اميركا قصدوها طلباً للرزق او للعلوم والفنون التي تنيلهم الرزق كالطب والتصوير ولكن ظهر لنا الآن ان بعضهم قصدها للاشتغال بالفلسفة او العلوم النظرية المحضة . فقد جاءتنا الآن رسالة وضعها الدكتور سليم شحاده جورج تمهيداً لنيلهِ رتبة دكتور في الفلسفة وهي تبحث في الاحكام العقلية بحثاً استقرائياً فانهُ استدعى بعض الاساتذة وغيرهم مثل الدكتور فوستر والدكتور يورنج وهما مدرّسان في الفلسفة العقلية والمستر بشوب وهو مساعد لمدرس الفلسفة العقلية والمستر رنش ومس انجلش وهما من طلاب الفلسفة وعرض عليهم بعض المسموعات والمنظورات ليقابلوها بعضها ببعض و يقولوا ما هي احكامهم فيها فيعرض عليهم صوتين مثلاً فيشعر البعض انهما متماثلان والبعض ان الاول اقوى من الثاني او الثاني اقوى من الاول وذلك بالتحقيق او بالترجيح او بالظن وتتكرر المعروضات والاحكام مراراً ثم يقابل بينها و بين المدة التي يقضيها كلٌّ منهم لابداء حكمهِ . وقد كرَّر هذه التجارب مراراً عديدة ووقف فيها على ٢٥٢٩ حكماً حلَّلها كلها في رسالة طويلة تملأ ٣٧ صفحة بحرف دقيق و يظهر لنا انهُ سيكون لهذا البحث شأن في تمرين القضاة وكل الذين يتولَّون التحقيق القضائي حتى يتمرنوا على الاسراع في احكامهم وتطبيقها على الواقع

ديوان الرشيديات

من نظم رشيد افندي سليم خوري من السوريين نزلاء برازيل . حيثما حلَّ السوريون اخذوا معهم آدابهم واخلاقهم وعاداتهم ونشأ منهم نوابغ الشعراء والكتاب ولو كانوا في بلاد لا يفهم احد من سكانها كلمة من لغتهم . واذا قرأوا العلوم العصرية واطلعوا على منظومات شعراء الغرب اضافوا الى القديم شيئاً من بهجة الجديد كما ترى في بعض ما في هذا الديوان

من ذلك قول ناظمه في قصيدة عنوانها « من على تل كاشميو الى جبل صنين » قال فيها

اراني في لبنان ما زلت ثاوياً   فمالي بكاشميو اراني ثاويا
رعى الله اياماً هناك قضيتها   وما كان غير الحب يشغل بالنا
غداة الهوى العذري لامس مهجتي   ففجّر ينبوعاً من الشعر صافيا
قصائد ذاب اللفظ منهن رقة   وسال على تلك الطروس معانيا
يقولون ان السعد يخدم ساعياً   ولم اشقَ الأ بعدما صرتُ ساعيا
اذا ما الاماني كان يأساً ختامها   فاشهى الاماني ان تظلّ امانيا

وقال مخاطباً الحلفاء في الدردنيل

اقلوا فما كثر الدوارع نافع   وكم دونكم غوّاصة دونها لغمُ
ولا يدخلون الحبل في سمّ ابرة   فبوغازهم ضنك واسطولكم ضخمُ

وقال واجاد واصفاً نزولهُ بين سود اميركا الذين يلقبون السوريون تُركو

سَفرٌ نهايتهُ سفر   مثل النسيم بلا مقر
ضجر السرى والسير مني   والبواخر والقُطُر
الشمس تمطرني اللظى   والسحب تمطرني المطر
حتّامَ ابقى دائراً   حول البسيطة كالقمر
اصطاد اطيار السعادة   وهي من وجهي تفرّ
فكانني مَثَلٌ يقدمهُ   الزمان الى البشر
عبثاً تروم سعادةً   ان لم يساعدْك القدر
ما غادرتني نكبةٌ   إلأ ليعقبها أُخر
همٌّ يزول بمثلهِ   كالشوك ينزع بالابر
ايوب سلِّمْ صولجانك   لست اعظم من صبر
لو ذقتَ يوماً ما اذوق   لكنتَ اول من كفر
ويزيد في الطنبور اني   بين ناسٍ كالبقر
لا يفهمون من الحياة   سوى البطالة والبطر
كن بينهم رجل الزمان   تظل « توركو » محتقر
يا للهوان فقد غدونا   عبرة لمن اعتبر

حتى العبيد السود قد   سخروا بنا مع من سخر
وطني ويا لك موطناً   قد مزقتهُ يد الغِيَر
بشقي المقيم اليوم فيك   وليس يسلمُ من هجر
في ذمة الحرب الضروس   حياة هـذا المحتضر

وقال واجاد في عيد الكارنافال (المرافع) في سان باولو

قل هل رأيت شموس الغيد في العيدِ   تختال بالبيضِ من اجفانها السودِ
طوراً فُرادى على مهلٍ منظمةً   مثل العقود وطوراً كالعناقيد
طار الغرور بسيّاراتهنَّ فلو   داست على الطفل لا تؤذي ولا تودي
يرشقننا بسهامٍ غيرِ جارحةٍ   مصنوعة من عصير الندّ والعود
وتارةً ناثراتٍ فوقنا ورقاً   كانهُ مدمع العشاق في الجود
او رامياتٍ بهِ شهباً مذنبةً   تقتاد قلبي بحبل غير مشدود
ما زلت حتى انقضى عشر وواحدةٌ   من الدجى وكأني غير موجود
يقول صحبي لماذا انت مكتئبٌ   وكلنا بين تهليلٍ وتغريد
قلت أُعذروني فان النوم يغلبني   قالوا انطلقْ انت مشتاق الى العود
فرحت عنهم وفي عيني وفي كبدي   ما ليس يدرون من همٍّ وتسهيد
امشي الهوينا واحشائي مقطعةٌ   على نصيب المساكين المناكيد
ارامل ويتامى يعولون على   أُسْدٍ يقضون هذا العيد في البيد
حيث السهام هي النيران آكلة   فلا يرى بينها سهمٌ لتبريد
حيث « النشير » كرات الموت ساقطة   مثل الرجوم على هام الصناديد
يأتي على الجيش لا يبقي لهُ اثراً   مستأثراً بنصيب الوحش والدود
اولئك الصيدُ في حوماتهم وهنا   نحوم نحن على اللذّات كالصيد
هذا حدادك يا غربيٌّ تلبسهُ   على اخٍ بين تنكيلٍ وتنكيد
يا حبذا جهلنا نعمتْ بساطتنا   ام الدموع المغازير المجاويد
شرٌّ البساطة محدودٌ بصاحبها   وللتمدن شرٌّ غير محدود
عمت مصائبهُ الدنيا وقد بلغت   الى السماء على جنح المناطيد

ديوان المازني

الجزء الثاني

صدر هذا الجزء من ديوان عبد القادر افندي المازني مفتتحاً بمقدمة تتناول اغراضاً كثيرة اهمها يخالف القول المأثور وهو ان الشعر اعذبهُ اكذبهُ و يناقض ما يتوخاهُ البعض من الاغراب حتى يقال ان شعرهم بدوي نخل فقد قال فيهما « لقد طال استخفاف المتأدبين بضرورة الصدق والاخلاص حتى استخفَّ بهم الناس واشتد غلوهم في انكار مكان الحاجة اليهما حتى انكرنا عليهم ما تكلفوهُ من فضول القول ونفاية الكلام وما تجشموهُ من ضروب الاغراب الذي لا يغني عن الادب شيئاً وانواع المعاياة التي لا تعود بطائل ولا ترجع بفائدة . ولعمري لست اعرف شيئاً هو احلى واعذب ورداً من الشعر صدقَنا اهلهُ المقال وترفعوا عن التقليد الذي لا حاجة بنا اليهِ ولا ضرورة تحملنا عليهِ » .... الى ان قال « وما الشعر الأمعانٍ لا يزال الانسان ينشئها في نفسهِ و يصرفها في فكرهِ و يناجي بهـا قلبهُ و يراجع فيها عقلهُ . والمعاني لها في كل ساعة تجديد وفي كل لحظة تردد وتوليد والكلام فتح بعضهُ بعضاً وكلما اتسع الناس في الدنيا اتسعت المعاني كذلك »

وفي هذا الجزء ٣٥٠ صفحة حافلة بالقصائد والمقاطيع . ولقد احسن في نسبتهِ ما ترجمهُ من اشعار الانكليز الى الشعراء الذين ترجم عنهم . والذي ترجمهُ من اشعار ملتن جارى فيهِ ملتن في انهُ لم يلتزم فيهِ قافية واحدة . ولا شبهة ان التزام القافية اوقع في النفس وهو في العربية اسهل منهُ في الانكليزية واذا كانت القصيدة طويلة كقصيدة مِلتُن فلا مانع من قسمتها قصائد كثيرة او نظمها مربعات او مخمسات او موشحات

وممَّا يظهر اسلوب المازني قولهُ في وصف نوءِ البحر وظلام الليل

فيا لكَ من ليلٍ بهيم كأنهُ   حداد السموات على نسل آدمِ
ويا لكِ من ريحٍ كأن زفيفهـا   نواقيس دقت للمنايا المواجمِ
ويا لك من بحر كان ضجيجهُ   صراخ اليتامى في وجوه المآتمِ
ورائي وقدامي وفي القلب ظلمة   فكيف فراري من ظلامٍ ملازمِ

وقولهُ في المناجاة

الله في كلفِ الاحشاء مفتونٍ   يجتاحهُ الشوق من بادٍ ومكنونِ
باع الرجاء ولم يبتع بهِ بدلاً   سوى قنوط طرير الغرب مسنونِ

ان نام نغّصتِ الاحلامُ رقدتهُ او قام ناجاهُ همٌّ غير مظنونِ
لا يخصب الظن في جدب الزمان ولا يضوع في قفرهِ عرف الرياحينِ

واكثر القصائد على هذا النسق كما ترى في قصيدة « الماضي الحي » الاَّ ما فيها من التعريض « بلعن الدين والمللِ » . وقد يسأَل قارئُ هذه القصيدة هل خاطب ناظمها غادةً معلومةً ومَن هي او معنًى قائمًا في نفسهِ . ومهما كان الحب عذريًا فالاكثار من وصفهِ ووصف ملابساتهِ لا تحمد عواقبهُ ونحن احوج الى ما يهذب الاخلاق و يقوي العزائم منا الى ما يثير لواعج الحب والهيام . فليكثر المازني من مثل ذلك ولهُ منا شكر فوق شكر

كلمات في الاخلاق

للاستاذ محمد افندي مختار يونس ناظر مدرسة المعلمين الاولية الاميرية بالاسكندرية وهي طائفة كبيرة من الحكم والامثال وجوامع الكلم في كثير من المواضيع الادبية كالاقتصاد والشفقة والمثابرة ومحبة الوطن والصبر والصداقة والحذر والتعاون والعزيمة والعفو وقد الحق بهما ما يجب على المعلمين مما يتطلبهُ كل فصل منها لكي يكونوا قدوةً لئلا يذم فيتمثلوا بالقدوة كما يتعلمون بالدرس والاستظهار وهو اسلوب حسن جدًّا . وحقيق بالطلبة ان يستظهروا كل ما في هذه الرسالة من النصائح والحكم وبالمعلمين ان يعملوا بما اشار عليهم بهِ مؤَلفها

البكتيريولوجيا الزراعية

هو كتاب يبحث في البكتيريا او المكروبات المتعلقة بالزراعة سواءٌ كانت مفيدة لها او ضارة بها . الفهُ حضرة محمود افندي مصطفى الدمياطي من اساتذة مدرسة الزراعة سابقًا ومساعد مفتش التعليم الزراعي بوزاعة الزراعة حالاً وقد وفى علم البكتيريولوجيا الزراعية حقهُ من البحث فكتب عن تاريخهِ ونشأَتهِ وكبار المشتغلين بهِ وتجاربهم وزين كتابهُ بكثير من الرسوم . فنثني على همتهِ واجتهادهِ

تغذية الطفل الرضيع

لواضعهِ الدكتور حافظ عفيفي بك

هو كتاب كبير الفائدة جامع لكل ما تلزم معرفتهُ في امر تغذية الاطفال موضح بالرسوم الكثيرة يحسن ان توجد نسخة منهُ في كل بيت

لدينا كتب كثيرة للتقريظ سيأتي الكلام عليها في الجزء التالي

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرّرهُ سائله فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كاف

(١) النار الحمقاء

الخرطوم. عمر افندي عبد الله. يشاهد سكان قرية السيد بالجزيرة وما حولها من القرى في كل ليلة من قديم الزمان ناراً تشب وتخبو في جهة معينة وهم يروون عنها الغرائب منها ان القاصد لا يجدها الأ متى جاوزها حيث تظهر لهُ مجانبةً او من خلف وانها لا تظهر في اغلب ليالي الجمع. فما هذه النار في نظر العلم

ج. لقد شاهد هذه النار اناس كثيرون في اماكن عديدة وازمنة مختلفة واسمها باللاتينية ignis fatuus اي النار الحمقاء. ووصفها الذين شاهدوها اوصافاً متباينة واختلفت آراؤهم في تعليلها فقال بعضهم انها صادرة من بعض الحشرات الفصفورية كالحباحب او من النور الفصفوري الذي يصدر من المواد الخشبية البالية. وقال غيرهم انها نور كهربائي كالنار المسماة نار سنت المو. وقال آخرون انها نار حقيقية وقد وضعوا فيها ورقاً فاشتعل وعللها البعض بانها من اشتعال غاز الضوء الذي يتولَّد فوق المستنقعات. وقال غيرهم انها لا تحرق ولا حرارة لها وقد وضعوا ايديهم فيها فلم يشعروا بها. ورجح البعض انها هيدروجين مفصفر وهو يشتعل لذاتهِ بسهولة وهذا الرأي الاخير اقربها الى الصواب فيما نرى. وعندنا رأي آخر يعضدهُ ما روي لكم من ان القاصد لا يجد هذه النار الأ متى جاوزها حيث تظهر لهُ مجانبةً وهو انها انعكاس نور القمر او نور كوكب من الكواكب عن صخر بلوري او عن شيء صقيل يعكس النور. فان النور المنعكس في الظلام يرى شديد اللمعان ولو كان ضئيلاً. ولو كنا على مقربة من المكان الذي اشرتم اليهِ لبحثنا بحثاً مدققاً عن مصدر هذا النور او هذه النار

(٢) النهضة

مصر. الخواجه ايلي بلتنر. بحثت في عدة قواميس عن ترجمة كلمة رينسانس Renaissance فلم اجدها فكيف تعربونها

ج. معناها الحرفي الولادة ثانية ويحسن

ان نترجم بكلمة نهضة او تجديد فنقول عصر النهضة او عصر التجديد للعصر الذي انتقلت فيهِ اوربا من القرون الوسطى المعروفة بالقرون المظلمة الى القرون الحديثة · ويطلق ذلك بنوع خاص على القرن الخامس عشر للميلاد الذي نهضت فيهِ العلوم والفنون في اوربا بنهضتها الجديدة او بُعثت بعدما تولأها الجمود والخمول قروناً كثيرة

(٣) الجمعيات الاشتراكية

ومنهُ · ان الجمعيات الخارجة على الحكومة كالنيهلست والانركست توجد بالاكثر في الممالك غير الدستورية مثل روسيا قبل الانقلاب الحديث فلماذا ذلك وما غرضها

ج · ان النيهلست ومعناهُ العدميون اسم أطلق في غرب اوربا على طائفة من الاشتراكيين الروسيين الذين غرضهم اعطاء الحرية للشعب ومنع حيف الحكام عنهم ولكنهم لا يسمون في روسيا بهذا الاسم · والانركست ومعناها الفوضوية (والمعنى الحرفي بلا رئيس) قديمة وصفها زينون الفيلسوف الرواقي الذي كان في القرن الثالث قبل المسيح · وهي الآن الفرع المتطرف من الاشتراكيين · ولا يبعد ان يكثر الفريقان في البلاد التي حكمها استبدادي اذا وُسع فيها المجال للتعليم والتهذيب لان النفوس المضغوطة اذا زال الضغط عنها بعض الشيء اتسعت وطلبت المزيد واما التي لا يزول عنها شيءٌ من الضغط فتبقى منكمشة خاملة

(٤) آداب الكشكول

الاسكندرية · احمد افندي عبد العال سلامة · لماذا انتقدتم على الكشكول في مقالة كتب العمال بالمجلد الثلاثين

ج لقد اضعنا ربع ساعة في التفتيش عما ذكرتم في المجلد الثلاثين فلم نجدهُ فيهِ بل وجدناهُ في المجلد الحادي والثلاثين والصفحة ٦٤٩ · وفي الكشكول اشياء كثيرة حسنة جدًّا واشياء اخرى يستحي اكبر متهتك من الاطلاع عليها وان كنتم في ريب من ذلك فراجعوا مثلاً الكلام المنقول عن الجاحظ في الصفحة ٢٧١ والسطر ٢٣ من طبعة محمد افندي مصطفى وشريكهِ · ولا ندري كيف رضي العاملي ان يذكر مثل ذلك في كتابهِ والكشكول افضل من المستطرف من هذا القبيل ولم نخصهُ بالذكر الَّا لاننا ننتظر من العاملي غير ما ننتظر من صاحب المستطرف

(٥) الانكليزية وقريبتاها

ومنهُ · اي اللغتين اقرب الى الانكليزية الفرنسوية او الالمانية

ج · الالمانية وقد كانت المشابهة بينهما اتم في الزمن الغابر

(٦) سكن الكواكب

ومنهُ · قرأت مقالة عين العلماء في المجلد

الثلاثين فهالني عظم الكون . افليس من المعقول ان هذه العوالم مسكونة وانها مراكز مدنيات عظيمة تفوق مدنية ارضنا

ج . قد يكون ذلك كذلك وقد لا يكون لانهُ ان كان العالم غير قديم اي ان كان قد وجد في وقت معين فيحتمل ان يكون قد وجد منذ مئة مليون سنة كما يحتمل ان يكون قد وجد منذ مليون مليون سنة وعلى الفرض الاول تكون الارض من اقدم الكواكب التي أُعدت لسكن المخلوقات العاقلة . ومن المؤكد ان الارض اصلح لوجود المخلوقات الحية من كل الكواكب السيارة حول الشمس ولا يستحيل ان تكون اصلح من سائر النجوم الاخرى لكن ذلك لا يؤخذ دليلاً قاطعاً على ان سائر النجوم والكواكب خالٍ من مخلوقات اخرى عاقلة في درجة الانسان او اسمى منهُ او ادنى

(٧) ثمن الاطيان في السودان

ومنهُ . كم ثمن فدان الارض في السودان وهل لا تزال الولايات المتحدة تهب الاراضي للمهاجرين بدون اجر

ج . ثمن الفدان يختلف كثيراً باختلاف الاماكن ولكنهُ على كل حال ارخص من ثمنهِ في القطر المصري اذا كان مماثلاً لهُ . ولا تزال حكومة اميركا تعطي المهاجرين وغيرهم ١٦٠ فداناً او اقل لكل من يطلب ذلك بشرط ان يكون رب عائلة او يكون عمرهُ ٢١ سنة على الاقل وتبقيها معهُ مدة معلومة حتى يصلح فيها ثم تملكهُ اياها بعد دفع ثمن زهيد . وقد عدلت هذا القانون من وجوه كثيرة لمنع الغش ولكنها لم تلغهِ فيما نعلم

(٨) كيف تكوَّن الانسان الاول

مصر . عبد الحليم افندي الياس نصير . لم يوضح الدكتور شميل في كتابهِ النشوء والارتقاء كيفية تكوين اول انسان واين مادتهُ وكيف اندثرت فهل لكم ان تفيدونا عن ذلك

ج . لا الدكتور شميل ولا غيرهُ من علماء الارض الطبيعيين يدَّعي انهُ يعرف كيف تكوَّن الانسان الاول او اين مادتهُ او كيف اندثرت . وغاية ما نعلمهُ ان آثار الانسان التي وجدت حتى الآن تدلُّ على انها قديمة جدًّا

(٩) توحد اللغات وانتفاء الحروب

ومنهُ . هل من الممكن ان تتوحَّد اللغة في الدنيا ويحصل سلام لا قيام للحرب بعدهُ

ج . ان ذلك غير مستحيل لذاتهِ ولكنهُ بعيد الحصول لاختلاف مصالح الناس ولأن المنافسة مغروسة في فطرة الانسان يجري عليها هو واسلافهُ الوفاً من القرون . وما ترسخهُ القرون الطوال لا يزول الاَّ اذا توفَّرت اسباب ازالتهِ قروناً كثيرة

باب الاخبار العلمية

علاج الدوسنطاريا بالانزيم اوزون

اسم الشيء قد يفيدهُ وقد يضرُّهُ ولهذا يهتم المخترعون والمستنبطون بتسمية ما يخترعونهُ او يستنبطونهُ اسماء يسهل حفظها وتذكُّرها وتُرَى فيها دلالة على حقيقة المسمَّى او فائدتهِ . ويظهر لنا ان الدكتور جبرائيل بك بحري مكتشف هذا الدواء الجديد الذي يشفي من انواع الدوسنطاريا لم يوفق التوفيق التام في وضع اسمهِ ولو دلَّ هذا الاسم عليهِ دلالة علمية . وعندنا انهُ كان الاجدر بهِ ان يضع لهُ اسمًا يكون اسهل دورانًا على الالسنة مثل اسم اوزونجين اي مولد الاوزون فانهُ يسهل حفظهُ لان كلمة اوزون مشهورة والملحق بها مشهور لوجودهِ في الاكسجين والهيدروجين والنتروجين

ثم انهُ مما يحسب على هذا الدواء في تأخر اقبال الاطباء عليهِ كون مستنبطهِ ليس طبيبًا ممارسًا لصناعة الطب اذ الظاهر ان بعض الاطباء يحسبون من الفضاضة عليهم ان يتطفل احد على موائدهم ويستنبط العلاجات لهم ولاسيما اذا كان فيها امر يستحق ان يكون مبدأً جديدًا في الطب يصح الجري عليهِ . ولذلك لم يحفلوا بمكتشفات باستور في اول الامر فنشبت حرب السبعين ومات جرحى الفرنسويين بالالوف من تعفُّن الجروح وتسمم الدم والاطباء الفرنسويون غافلون عن اكتشاف باستور سبب التعفُّن والتسمم ولم يعملوا بهِ الاَّ بعد ما سبقهم لستر في انكلترا الى العمل بهِ . وعسى ان يتم لاكتشاف بحري بك ما تم لاكتشاف باستور اخيرًا لاسيما وانهُ يشبههُ في انهُ يتضمن مبدأً جديدًا يصحُّ العمل بهِ والبناء عليهِ فان الدكتور بحري وجد بالامتحان انهُ يمكن اماتة المكروبات المرضية بالاكسجين المتولد حديثًا وان بعض الخمائر تولد مقدارًا كبيرًا جدًّا من الاكسجين متى انصلت بالمكروبات المرضية . فاذا اثبتت التجارب ذلك اثباتًا ينفي كل ريب واثبتت ايضًا ان هذه الخمائر لا تضرُّ ابدًا بما تفرزهُ من الاكسجين فهذا الاكتشاف اسلوب جديد في العلاج يصح ان يذكر مع اسلوب باستور

والمكتشفات الجديدة لا تثبت فائدتها الاَّ بالتجارب الدقيقة المتكررة وبقيام الخصوم لها حتى يبينوا عيوبها التي يغفل عنها صاحبها لشدَّة رغبتهِ فيها وعطفهِ عليها . ويظهر لنا

ان الدكتور بحري بك جارٍ في هذه الخطة وقد اسفرت تجاربهُ عن نجاح فوق ما انتظر فقد ارانا جدول ٤٢٠ مصاباً بالدوسنطاريا من الاسرى العثمانيين عولجوا بدوائهِ فشفي ٤٠٧ منهم وتوفي ١٢ فقط اي اقل من واحد وربع في المئة وبقي واحد لم يشفَ بعدُ ٠ وكانوا مصابين بانواع مختلفة من الدوسنطاريا فالمصابون منهم بدوسنطاريا شيغا كانوا ١٨ شفي منهم ١٧ وبقي واحد مريضاً ٠ والمصابون بدوسنطاريا فلكستر كانوا ٣٢ شفي منهم ٣١ وتوفي واحد ٠ والمصابون بدوسنطاريا لم يظهر نوع مكروبها كانوا ٢٧٥ شفي منهم ٢٦٤ وتوفي ١١ ٠ والمصابون بالدوسنطاريا الاميبية كانوا ثلاثة شفوا كلهم ٠ والمصابون بدوسنطاريا لم يعرف نوع مكروبها كانوا ٩٢ شفوا كلهم

فهذه نتائج باهرة ٠ وسينشر بحري بك مقالة مسهبة في هذا الموضوع يضمنها خلاصة تجاربهِ كلها ويشرح كيفية اكتشافهِ لهذا العلاج والقواعد العلمية التي بناهُ عليها

وممَّا هو حريٌّ بالذكر ان المكتشف لم يطلب امتيازاً باكتشافهِ لكي ينتفع بهِ نفعاً ماليًا كما فعل كوخ مثلاً لما اكتشف التوبركولين ٠ ولعلهُ لو اخذ امتيازاً بهِ وغالى في ثمنهِ لزاد الاقبال عليهِ لان كل معروض مهان ولكن لا شبهة عندنا انهُ اذا اثبتت التجارب الكثيرة فائدة هذا العلاج والاسلوب العلمي المبني عليهِ نال مستنبطهُ منهُ فائدة ادبية تفوق كل الفوائد المادية

الدكتور بيرنج

نعت صحف اوربا الدكتور اميل فون بيرنج الالماني مكتشف معالجة الدفثيريا بالمصل ٠ ولد في مدينة هنسدورف سنة ١٨٥٤ ودرس الطب في احدى مدارس برلين فحاز الشهادة سنة ١٨٧٨ ٠ وفي سنة ١٨٨٩ عين مساعداً في معهد الهيجين ببرلين ثم نقل منهُ الى معهد كوخ الخاص بدرس الامراض المعدية سنة ١٨٩١ فشرع يبحث في الدفثيريا وعلاجها فوفق بعد تعب دام سنتين الى اكتشاف المصل المضاد لها وتحضيرهِ فكوفئ على ذلك بجوائز من اكادمية الطب الفرنسوية ٠ وفي سنة ١٨٩٤ منح لقب بروفسور جزاء اكتشافاتهِ العلمية

ومن اهم الابحاث التي طرقها بعد الدفثيريا بحثهُ في التدرن فنسب معظم حوادث السل في الصغار الى العدوى من شرب لبن البقر المصابة بالتدرن فحضر نوعاً من التيوبركولين او المصل سمَّاهُ «تولاز» ولكنهُ لم يكن افضل من اصناف المصل التي اكتشفت قبلهُ كمصل كوخ وغيرهِ ٠ والعلماء يحسبونهُ هو ولوفلر وارلخ اللذين توفيا مدة الحرب الحاضرة مثلهُ بين روَّاد علم البكتيريولوجيا الحديثة والمناعة

الدوسنطاريا في شرق بحر الروم

اصدر الدكتوران راشمان ووستون من اطباء لجنة المباحث الطبية الانكليزية تقريراً في حوادث الدوسنطاريا التي اصابت الجنود الانكليزية في البلاد الواقعة شرقي بحر الروم مدة الحرب الحاضرة · ومما جاء فيهِ انهما فحصا مبرزات ٨٧٨ جنديًّا اصيبوا بامراض معدية فظهر لهما ان ٣٤٫٧ في المئة منهم كانوا مصابين بالدوسنطاريا الباشلسية و ١٨٫٣ بالباراتيفويد · و ١٠٫١ في المئة بالدوسنطاريا والباراتيفويد معاً · و ٦٫٢ في المئة بالدوسنطاريا الاميبية · وحيثما وجدت الدوسنطاريا والباراتيفويد معاً كانت الدوسنطاريا هي السابقة

القراص مكان القطن

لما قلَّ ورود القطن الى المانيا بسبب الحرب جعلت تفتش عن شيء يقوم مقامهُ فاشار بعضهم باحياء صناعة قديمة بائدة وهي معالجة نبات القرَّاص لاستخراج الالياف منهُ ونسجها فشرعوا في ذلك في المانيا وسويسرا معاً · وذلك انهم يزرعون القرَّاص في ارض خصبة في اواخر الشتاء فاذا جاء الربيع وبلغ طول النبت قدماً خضدوهُ واكلوا رؤُوسهُ كما يؤْكل السبانخ ورموا الباقي لضعف اليافهِ وانتظروا الفوج الثاني اذ تكون شعرتهُ امتن وهو ينضج للحصاد في يونيو او يوليو اذ يبلغ طول سوقهِ نحو اربع اقدام فيستخرجون منهُ الالياف بطرق معروفة عندهم · وما تبقى يستعملونهُ للعلف

تذكار السر وليم هجنز

احتفل في كنيسة سانت بول في لندن باقامة تذكار للسر وليم هجنز واللادي قرينتهِ · وهو من اعظم فلكيي الانكليز شغف بعلم الفلك ولكنهُ لم يشتغل بهِ ليعيش منهُ لانهُ كان تاجراً غنيًّا بل درسهُ درس مولع بهِ ثم انقطع لهُ وبنى مرصداً في لندن من جيبهِ ولما توفي قام نفر من اصدقائهِ يمدّ العدة لاقامة اثر لهُ يذكر اعمالهُ فدرت قرينتهُ بذلك فتعهدت بالانفاق على الاثر من جيبها ولكنها لم تلبث ان توفيت وتركت في وصيتها مالاً لهذا الغرض · فرأى اصدقاء السر وليم ان يكون الاثر الذي يراد اقامتهُ مزدوجاً يكرم بهِ السر وليم وقرينتهُ معاً نظراً الى مشاركتها قرينها في اعمالهِ مشاركة فعلية والى ان بعض المؤلفات التي نشرها السر وليم واهمها انما نشرت باسميهما معاً · وعليهِ نقش تذكار لهُ وآخر اصغر منهُ لقرينتهِ ومتصل بهِ وكشف الستار عنها بحضور جمّ غفير من العلماء وخطب السر جوزف طمسن رئيس الجمعية الملكية خطبة ابن فيها الزوجين الكريمين وعدد مناقبهما

هبات روكفلر

بلغ مجموع الهبات التي وهبها روكفلر الغني الاميركي الكبير سنة ١٩١٦ في سبيل العلم والمروءة ١٦٤٩٨٢٠ جنيه اعظمها الهبة الخاصة بتخفيف بلايا الحرب وويلاتها ومقدارها ٥٠٨٠٠٠ جنيه فبلغ مجموع ما وهبهُ لهذه الغاية منذ اول الحرب ٨٣٦٤٠٠ جنيه · ووهب ادارة الصحة ١٢٢٣٠٠ جنيه لمقاومة الدودة المعروفة باسم « هوك ورم » وهي دودة تسطو على الناس في ولايات اميركا الجنوبية وبعض ولايات اميركا اللاتينية والمستعمرات الانكليزية وتبلوهم بداء ينسب اليها · ووهب ٢١٣٦٣٠ جنيهاً لمجلس الطب الصيني لينفق على تعليم الطب في الصين

مجموعة أجنّة

شرع الدكتور مول من مدرسة جونس هوبكنس الطبية المشهورة في اميركا ومدير قسم الاجنّة فيها منذ ٢٥ سنة يجمع الاجنة البشرية من اسقاط واجنة غير متكاملة وجدت في ارحام امهاتها بعد مماتهنّ · فجمع في السنين العشر الاول مئة نموذج ثم تولى معهد كارنيجي هذا العمل بعدهُ فزاد ما جمعهُ منها حتى بلغ متوسطهُ السنوي في السنين الاخيرة ٤٠٠ · واشتغل بجمع هذه النماذج

اكثر من ٥٠٠ طبيب وجرّاح ومرسل في البلاد الاجنبية

الكبريت في البترول

ظهر من مباحث بعض العلماء انهُ حيثما وجدت منابع البترول وجد الكبريت فيها كثيراً كان ام قليلاً · ولا يعلم مصدرهُ بالتحقيق ولكن مهما يكن من امرهِ فان وجود الكبريت في البترول مضرٌّ بهِ اذ يكسبهُ رائحة كريهة ويقلّل لمعان نورهِ ويسوّد الآنية التي يوضع فيها

مقياس الراحة

تهتمّ مصلحة الصحة الاميركية بعمل آلة تسميها « كومفورتيمتر » اي مقياس الراحة وهي عبارة عن ميزان لقياس الهواء بالنظر الى راحة الانسان من حيث حرارتهُ ورطوبتهُ وحركتهُ وسائر ما يختصّ بهِ مما لهُ علاقة براحة الناس · وقد اكملت الآن وضع رسومهِ ويقال انهُ متى تمّ جاء وافياً بالغرض المروم منهُ

اصلاح خطاء

ورد في مقالة « في بادية الشام » التي نشرت في الجزء الماضي ذكر كتاب « نهاية الارب في معرفة اخبار العرب » والصواب « انساب » لا « اخبار »

فهرس الجزء السادس من المجلد الخمسين

صفحة

٥٢١ سياحة ذرّة ماء (مصوّرة)
٥٢٦ حرب الطيارات والغوّاصات
٥٢٩ طرائف من ادب العرب · لنقيب
٥٣٧ استعمار السور بين العهدين · للدكتور فيليب حتّي
٥٤٥ الرجوم (مصوّرة)
٥٤٧ الدود المعوي · للدكتور شخاشيري (مصوّرة)
٥٤٩ القدَرية والجبرية · لمحمد افندي حسين هيكل المحامي دكتور في الحقوق
٥٥٤ الحياة بعد الموت
٥٦٤ خطبتان نفيستان · للمستر لويد جورج رئيس الوزارة الانكليزية (مصوّرة)
٥٧٧ مصر منذ اربعمائة سنة · لديمتري افندي نقولا
٥٨٦ المجزرة العظمى · لمحمد افندي باقر الشبيبي

٥٨٩ باب المراسلة والمناظرة * حول أكوات العراق · استدراك · ايضاح
٥٩٤ باب الزراعة * علف المواشي والدواب · بحث في البرسيم · غلة الحبوب
٥٩٨ باب تدبير المنزل * قبض الامعاء · اللعاب ومضغ الطعام · زيت الخروع · الغلاء والاقتصاد
٦٠٤ باب التقريظ والانتقاد * الاحكام العقلية · ديوان الرشيدات · ديوان المازني · كلمات في الاخلاق · البكتيريولوجيا الزراعية · تغذية الطفل الرضيع
٦٠٩ باب المسائل * وفيهِ ٩ مسائل
٦١٣ باب الاخبار العلمية * وفيهِ ١٠ نبذ